

سلسلة كتب الإسلام ووطن
الكتاب السابع والثمانون بعد المائة

مجموع مسند مؤيد

رواية مشكاة
تحاول التعرف على بنية العقل السافي

الجزء الأول

د. نور الدين أبو حية

جميع حقوق الطبع والنشر والتصوير والاقتباس
والترجمة والنقل محفوظة لمشيخة الطريقة العزمية

الطبعة الأولى

مُحَرَّمٌ ١٤٣٧ هـ - نوفمبر ٢٠١٥ م

عنوان الكتاب	لحوم مسمومة
المؤلف	أ.د. نور الدين أبو لحية
الناشر	دار الكتاب الصوفى
عنوان الناشر	١١٤ ش مجلس الشعب - السيدة زينب
رقم التليفون	٠٢/٢٣٩٠١٠٣٠

الإهداء

إلى الذين اجتمع كل شياطين الإنس والجن
على الكيد لهم، والمكر بهم . . فلم يضرهم ذلك شيئاً . . ولم
تأخذهم في الله لومة لائم، وكان لهم في رسل الله
وأوليائه أسوة حسنة .
أهدي هذا العمل .

تقديم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا ومولانا محمد، صلى الله عليه وآله الطيبين الطاهرين، وأصحابه الهادين المهديين، وبعد: من الإشكالات الكبرى التي يقع فيها من يحاول أن يحاور التيارات السلفية المتشددة هو صعوبة البحث عن المنطق الذي يفكرون به..

ذلك أنه يتصور أنهم - كسائر الناس - يخضعون لمنطق واحد، مع أنهم ليسوا كذلك.. لأن لهم منطقهم الخاص، المختلف تمامًا عن منطق أرسطو الذي انتقده شيخهم - بل شيخ الإسلام السلفي - ابن تيمية.. ولهم منهج تفكير مختلف كثيرًا عن سائر المناهج التي عهدها الناس.

وليس من السهل شرح هذا المنهج أكاديميًا، ذلك أن اللغة الأكاديمية تتوقف عنده، فلا تستطيع أن تصفه، ولا أن تحده، ولا أن تضبطه.. فلذلك كان الحل هو الوصف الواقعي الفني لهذا المنطق.

وبناء على هذا كانت هذه الرواية الحوارية البسيطة، والتي تحاول أن تعبر عن البنية العقلية والفكرية لهذه التيارات من خلال مصادرها التي تعتمدها، ورجالاتها الذين تتق فيهم.

ونحن لم نفعل شيئاً سوى أن أضفنا بعداً فنياً يقرب لنا الصورة.. أما ما عدا ذلك فهي بضاعتهم التي يعرضونها في كتبهم ومواقعهم وقنواتهم وكل ما لديهم من إمكانيات إعلامية ضخمة.

والرواية تنقسم إلى قسمين:

في القسم الأول، والذي خصصناه بهذا الجزء نرى مواقف الاتجاه السلفي من كل ما أفرزته الأمة من تيارات ومدارس وتوجهات صوفية وكلامية وعلمية وغيرها. وقد اخترنا نماذج متفرقة من كل ذلك.. وحرصنا على أن تكون نماذج متنوعة⁽¹⁾ لتشمل أكبر عدد من التوجهات

(1) اختيارنا لهذه الشخصيات لا يعني أننا نتفق معها تماماً، وفي كل شيء، لأنها في أصلها ذات رؤى مختلفة.. ولكن خلافنا معها في بعض المواقف والآراء لا يدعونا إلى تكفيرها أو تضليلها أو تبديعها كما يفعل التيار السلفي المتشدد.. وهذه النقطة الفارقة الخطيرة بيننا وبينه.

الفكرية الموجودة على الساحة الإسلامية في القديم والحديث.

وفي القسم الثاني، والذي خصصناه بالجزء الثاني، نرى البديل الذي يضعه الاتجاه السلفي لتلك التيارات، أو الصورة التي يريد أن يصور بها هذا الدين.

ونحب أن ننبه فقط كما نبهنا في الأجزاء السابقة من سلسلة (اعترافات هارب من سجون الوهابية)^(١) أننا انطلقنا في كتابة هذه النصوص - التي كنا فيها واصفين أكثر منا محللين - من منطلقات السلام والمحبة التي جاء بها ديننا وعلّمنا إياها نبينا.. فنحن لا نكفر هذه التيارات، ولا نبدعها تديعاً عاماً، ولا ندخلها جهنم، ولا نحرمها من الجنة، مثلما تفعل هي مع مخالفيها.. لاعتقادنا أن كل ذلك لله.. وإنما ننكر عليها فقط مواقفها من المخالفين، وكبرها في التعامل معهم.

حتى أنني - شخصياً - أعتقد أن الكثير مما يروونه من آراء فقهية أو عقديّة أو في مجالات أخرى من الدين لا

(١) يراجع سلسلة كتب الإسلام وطن رقم (١٧٣ - ١٧٥).

مبرر للإنكار عليهم فيها، لأنها آراء نابعة من اجتهاد صادق.. بل إنني شخصياً أخذ ببعضها، وأوافقهم فيها، لأنني أراها من صميم الدين، وقد رجحتها في بعض كتبي الفقهية أو العقدية..

لكن الإنكار الكبير المتوجه لهم هو تعاملهم بجفاء وسلبية مع المدارس المختلفة للأمة، وعدم احترامهم للخلاف، وعدم احترامهم للتنوع الذي شاء الله أن يطبع عباده عليه.. وتصورهم أن البت في الخلاف بين الخلق سيكون في الدنيا مع أن الله أخبر أن محل ذلك في الآخرة، قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَلْبُونَ الْكِتَابِ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (البقرة: ١١٣)

فنحن في واقعنا المشحون بداء الطائفية نردد نفس ما رده اليهود والنصارى، فكل فئة تزعم أنها على الحق المطلق.. ولذلك كان الحل - كما تصف الآية الكريمة - هو أن نترك حكم ذلك لله، وفي الآخرة، أما في الدنيا فليس إلا التحاور والتعايش والتقارب والسلام بين كل

المدارس والمذاهب والطوائف والأديان.. ولا يحق لأي
جهة أن تكره الأخرى على معتقدها.

وبناء على هذا - أقول كما قلت سابقاً - بأنني، ومن
وحي المناهل العذبة التي رزقني الله الشرب منها على يد
أوليائه أعتذر لكل من تأذى من السلفية بهذه الكلمات،
فيعلم الله مدى محبتي لهم وحرصي عليهم.. وإني وإن
شددت في بعض المحال لم يكن ذلك إلا كشدة الطبيب مع
مريضه المقصر، أو مع الجراثيم التي تريد أن تفتك
بمريضه المقصر.

وإني - مع هذا - مستعد للتراجع عن أي خطأ أنبه
إليه، فالهدف هو الحق، وليس إلا الحق.

المقدمة

اللحوم المسمومة

كنت في المستشفى مع صديقي الوهابي النائب، بسبب سهام الحقد التي أصابتنا من القحطاني ونونيته⁽¹⁾، وبعد أن ارتفع عنا الخطر، وطلبنا العودة إلى بيوتنا، لم يؤذن لنا حتى يتأكد الأطباء من سلامتنا تمامًا.

وبينما نحن كذلك، وقد غلب علينا الصمت والألم إذا بالمرضين يدخلون علينا جمعًا من الشباب يتألمون آلامًا شديدة، فسألنا عن سر ما حصل لهم، فذكروا لنا أنهم أكلوا لحومًا مسمومة في الحي الجامعي الذي يسكنون فيه.

وهنا أصابت صاحبنا الوهابي النائب نوبة من النوبات التي كانت تعتريه أحياناً، فراح ينتقل بينهم، ويقول: ما الذي حصل؟.. أي لحم أكلتم؟.. أي جيف سرطتم؟.. أي سم بلعتم؟

ثم اقترب من أحدهم، وقال: لا شك أنك أكلت لحم

(1) حسبما ذكر في آخر كتاب (اعترافات هارب من سجون الوهابية).

الوادعي.. أعرفه.. إن لحمه مسموم جداً.. لقد كان
الجميع يتحدث عن ذلك.

واقترب من آخر، وقال: أما أنت.. فلا أظن إلا أنك
أكلت لحم الحجوري.. إن لحمه قد خزن كل أنواع
السموم.. لا أظن إلا أنك لن تخرج من هذا المستشفى.

واقترب من آخر، وقال: أما أنت.. فلا أظن إلا أنك
أكلت لحم المدخلي أو الحربي أو التويجري أو الهلالي..
إن جميع لحومهم متشابهة.. إنها وَسْمُ الأفاعي والعقارب
والحيات سواء.

وبقي يفعل ذلك إلى أن أمسكه المرضون، وحققوه
بحقنة مهدئة، عادت إليه نفسه بعدها.

التفت إليّ وإلى الجميع، وقال: اعذروني.. لم أدر ما
أفعل، ولا ما أقول..

قلت: ما الذي حصل؟ هل تذكرت حدثاً حصل لك فيما
مضى من عمرك؟

قال: أجل.. لم أتذكر حادثاً واحداً، بل تذكرت أحداثاً
كثيرة مؤلمة، كنت فيها ممثلاً حماقة وغفلة.. كان فيها
(غياب المنطق).. و(المكايل المزدوجة).. و(التطيف في

الميزان).. وغيرها من الجرائم صفات لي لقتها كما يلحق الحمقى والمغفلون.. لقد كان مشايخي حينها يتلاعبون بعقلي كما شاعت لهم أهواؤهم.. فلهم لكل حادث حديث.. ولكل قضية ميزان خاص بها إلى أن طاش عقلي، وغادرنى لبي.

قلت: فما علاقة ذلك باللحوم المسمومة؟

ابتسم، وقال: لقد كانت (اللحوم المسمومة) من جملة العبارات التي كنا نسمعها كثيرًا في مجالسنا مع السلفيين، وكانوا يستخدمونها متى شاعت لهم أهواؤهم، ويتركونها متى شاعت، من غير منطق ولا موازين.. لا يريدون بذلك إلا إلجام خصومهم وإفحامهم.

قلت: فما الذي يقصدونه منها؟

قال: لقد كانوا يقصدون منها حرمة غيبة العلماء، أو انتقادهم، أو الحديث عنهم بغير ما تسمح به أهواؤهم. قلت: أعرف العبارة جيدًا، إنها متداولة مشهورة حتى اعتقد البعض أنها حديث مع أنها ليست سوى مقولة للحافظ ابن عساكر، فقد قال في مقدمة كتابه (تبيين كذب المفتري): (اعلم يا أخي وفقني الله وإياك لمرضاته،

وجعلنا ممن يخشاه ويتقيه حق ثقافته، أن لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة، فمن أطلق لسانه في العلماء بالتلب، ابتلاه الله قبل موته بموت القلب^(١).

وبعضهم يروي عن أحمد أنه قال: (لحوم العلماء مسمومة، من شمها مرض، ومن أكلها مات)^(٢).

وبعضهم نظم ذلك شعراً، فقال:
لحوم أهل العلم مسمومة

ومن يعاديهم سريع الهلاك

فكن لأهل العلم عوناً وإن

عاديتهم يوماً فخذ ما أتاك

قال: أجل.. تلك عبارته مع أن النصوص المقدسة تبين

أن جميع اللحوم محرمة ومسمومة سواء كانت لحوم

علماء أو غيرهم، بل سواء كانت لحوم مسلمين أو غير

مسلمين.. فلكل إنسان حرمة التي لا يجوز انتهاكها بغير

حق.

(١) تبيين كذب المفتري، ص: ٢٨.

(٢) المعيد في أدب المفيد والمستفيد، ص: ٧١.

قلت: لقد شوقنتني إلى أحاديثك.. فهلاً حدثتني ببعضها
اليوم عسانا ننسى بعض ما نعانیه من آلام.
قال: أجل.. سأحدثك عن مكابيلهم المزدوجة مع تلك
العبرة.. ولعلك بعدها تعذرني في موقفي الذي وقفته
اليوم.

اعتدل في جلسته، ثم قال: قبل سنوات طويلة، وفي
ريعان شبابي، أردت السفر عبر الحافلة إلى الجنوب
لضرورة من الضرورات، وكنت حينها رفيقاً لصديق لي
سجن قبلي في سجون الوهاية، ولهذا كنت - وبحكم
سابقته للإسلام في تصوري في ذلك الحين - أتبعه تبعية
مطلقة.. بل أراعي كل تصرف من تصرفاتي أو موقف
من مواقفي خشية على نفسي من أن يحكم عليّ في أي
لحظة بكفر أو بدعة أو ضلالة، أو يودعني من غير أن
أشعر سرداباً من سراديب جهنم.

كان اسمه ربيع، وكان يحب هذا الاسم حباً شديداً؛ لأنه
ينفق مع اسم معشوقه (ربيع بن هادي المدخلي) الذي فنى
فيه، فصار لا يتحدث إلا عنه، ولا يسبح إلا بحمده، وكان
يعظمه تعظيماً عجبياً، وكان يقول لي كل حين: إنه أستاذ

التجريح في هذا العصر بلا منازع.. ولا يمكن أن تكون هناك سنة بدون أن يصحبها التجريح..

وكان يقول لي: لو أن ابن تيمية رأى ربيعاً لفرح به.. ولو أن ابن عبد الوهاب شاهد قوته في الحق لأصبح من تلاميذه.

وهكذا إلى أن جعلني مثله أقدم كل قرابين الخضوع والخشوع والركوع لربيع المدخلي.

كانت حافلات الجنوب عندنا - بسبب بُعد المسافة - مزودة بكل وسائل الترفيه والراحة حتى لا يمل المسافرون من الطريق الطويل.. وكان من أهم تلك الوسائل التلفزيون المركب في مقدمة الحافلة، ويشرف عليه وعلى وضع أشرطة الفيديو السائق نفسه. وقد كان السائق في كل حافلة هو مدير التلفزيون، والمشرف على البرامج التي تعرض فيه، وكان الركاب بحكم كثرة الحافلات ينتقون من الحافلات ما يتناسب مع مزاجهم.

وقد شاء الله أن نمر في رحلتنا تلك بحافلتين مختلفتين تماماً.. وستكون قصتي كلها حول هاتين الحافلتين، وما

يعرض على شاشتها التلفزيونية.

قال ذلك، ثم التفت للحضور من المرضى والممرضين، وقال: الحياة كلها رحلة.. ونحن إنما ننتقي في حياتنا المراكب التي نصل بها إلى المحطة النهائية.. فمننا من يركب حافلات مقدسة، ومننا من يركب حافلات مدنسة.. وبقدر قداسة الحافلات التي نركبها بقدر جمال المحطات التي نصل إليها.

قلت: أنا في شوق شديد لحديثك.. فهيا حدثنا.

صمت ربيع قليلاً، وكأنه يتذكر الحادثة بدقة، ثم قال: عندما امتلأت مقاعد الحافلة بالمسافرين، وحن وقت الانطلاق، وقف السائق مخاطباً لنا بكل أدب، وقال: أيها المسافرون الأعزاء يسرني أن أكون في خدمتكم هذه الليلة.. وأنتم تعلمون بعد المسافة وطول الطريق.. ولهذا فقد أتيت لكم ببعض الأشرطة العلمية النافعة حتى لا يضيع وقتكم في لغو المسلسلات والأفلام.. فإن لم يركم هذا، فأخبروني، فأنا في خدمتكم.

البوطي.. والحكم العطائية

صاح جميع المسافرين بالموافقة، وبقبول ما عرضه عليهم.. فأخذ الرجل شريطاً من حقيبتة، وقال: هذا شريط لعالم جليل من علماء الإسلام المعاصرين.. وقد استشهد رحمه الله.. وكان مثلاً للصدق والورع والشجاعة.. وهو يشرح فيه الحكم التي ذاع صيتها في الآفاق.. حكم ابن عطاء الله السكندري.

صاح ربيع في السائق بقوة: ما الذي تريد أن تفعله بنا يا رجل.. أتريد أن تحولنا إلى زنادقة وملحدين.. ما هذه الجريمة التي تريد أن تقتربها؟

قال السائق المسكين بكل أدب: اعذرنى يا بني.. فلم أكن أدري أن هذه الحكم تحوي زندقة أو إلحاداً.. لقد سمعت آبائي وأجدادي يثنون عليها.. وكانوا يوجهوني كل حين من خلالها.. حتى أنني أكاد أحفظها جميعاً.

قال ربيع: أبأوك وأجدادك ليسوا مقاييس للحقيقة.. أتريد أن تردد ما ردد أهل الجاهلية: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ (الزخرف: ٢٢).

قال السائق: لا بأس يا بني.. لكنني أود أن أوضح لك
بأنني بحمد الله لم أكتف بما رباني عليه والداي.. بل
رحت أبحث وأسمع لأهل العلم ولم أجد منهم بحمد الله من
يقول ما تقول.. وهذا الشريط الذي أريد أن أسمعكم إياه
دليل على هذا.. فحتى لو كان ابن عطاء الله زنديقاً فإنك
تتفق معي على أن الشارح ليس كذلك.

قال ربيع: ما دام الرجل زنديقاً، فكل من يشرح كلامه
زنديق مثله.

قال السائق: أنت لا تعلم صاحب الشرح، ولهذا تردد
ما تردد.. إنه علم من أعلام الإسلام الكبار في هذا
العصر.. وقد تصدى بكل قوة لمؤامرة استهدفت بلده،
ودفع دمه ثمناً لذلك.. وقد تشرفت بلفائه، فرأيت ممتلئاً
صدقاً وإخلاصاً.

قال ربيع: لا أظنك تريد إلا ذلك الضال المضل رأس
الفتنة (محمد سعيد رمضان البوطي)

قال السائق: أجل.. وهو عالم جليل..

قاطع ربيع، وقال: بل هو ضال مضل، ألم تسمع ما
قال فيه السديس مقرئ الحرم وعالمه.. ذلك الفحل الذي

لا نظير له في العلوم والقراءة.. لقد أصدر بياناً حول مقتله اعتبر فيه الفرح بموته من الفطرة، وقال في بيانه: (إن البوطي كان من رؤوس أهل البدع والضلال، وممن يزين للناس البدع ويغريهم بها، ويحذرهم من حق أهل السنة ويقبحه لهم، وقد ضل بسببه أمم لا يعلمهم إلا الله)^(١).

قال السائق: مع احترامي لك وللسديس ولكل العلماء.. لكني لا أرى من الأدب أن نفرح لموت مسلم.. بل لموت إنسان.. لا يفرح لموت الناس إلا من امتلاً حقداً. استشاط ربيع غضباً، وقال: تأدب يا رجل.. أراك ترمي السديس بالحق.. ألا تخاف الله؟.. ألا تعلم أن لحوم العلماء مسمومة؟

قال السائق بكل أدب: أعذر يا بني.. فلم أكن أقصد

(١) انظر: مقالاً بعنوان: السديس: البوطي من أئمة البدع والضلال.. وبموته يخف الشر، موقع مفكرة الإسلام، السبت ٢٣ مارس ٢٠١٣م - ٠٨:٣٨ م بتوقيت مكة، على الرابط:

(<http://islammemo.cc/akhbar/arab/١٦٨٠٧٧/٢٣/٠٣/٢٠١٣.html>)

الشخص، وإنما قصدت المقالة التي قالها.. فإني أراه
مخطئاً فيها..

قال ربيع: ويحك.. ما أجرأك على العلماء مع أنك لست
سوى نكرة.. ألا تعلم ما قاله سلفنا الصالح في الموت
بفرح المبتدعة ورؤوس الضلالة؟

ألا تعلم أنه لما جاء خبر موت المريسي الضال، وكان
بعض سلفنا الصالح في السوق فقال: (لولا أنه كان
موضع شهرة لكان موضع شكر وسجود، والحمد لله الذي
أماته)^(١).

وقيل لبعض سلفنا: الرجل يفرح بما ينزل بأصحاب
ابن أبي دؤاد، عليه في ذلك إثم؟ قال: (ومن لا يفرح
بهذا؟!)^(٢)

وقال سلمة بن شبيب: كنت عند عبد الرزاق - يعني
الصنعاني -، فجاءنا موت عبد المجيد - وهو ابن
عبد العزيز بن أبي رواد، وكان رأساً في الإرجاء - فقال:

(١) لسان الميزان: ٣٠٨/٢.

(٢) السنة للخلال: ١٢١/٥.

(الحمد لله الذي أراح أمة محمد من عبد المجيد)^(١)
ولما جاء نعي وهب القرشي - وكان ضالاً مضلاً -
لعبد الرحمن بن مهدي قال: الحمد لله الذي أراح المسلمين
منه^(٢).

وقال الحافظ ابن كثير عن أحد رؤوس أهل البدع:
(أراح الله المسلمين منه في هذه السنة في ذي الحجة
منها، ودفن بداره، ثم نقل إلى مقابر قریش فله الحمد
والمنة، وحين مات فرح أهل السنة بموته فرحاً شديداً،
وأظهروا الشكر لله، فلا تجد أحداً منهم إلا يحمد الله)^(٣)
قال السائق: أنا لم أتشرف بقراءة ما ذكرت من أقوال،
لأنني كنت مكتفياً بما سمعت من أحاديث عن رسول الله
ﷺ ورد فيها النهي عن التعرض للموتى، ففي الحديث،
قال رسول الله ﷺ: (اذكروا محاسن موتاكم، وكفوا عن
مساويهم)^(٤)، في حديث آخر: (لا تسبوا الأموات فإنهم قد

(١) سير أعلام النبلاء: ٤٣٥/٩.

(٢) لسان الميزان لابن حجر: ٤٠٢/٨.

(٣) البداية والنهاية: ٣٣٨/١٢.

(٤) رواه أبو داود والترمذي وابن أبي الدنيا.

أفضوا إلى ما قدموا^(١)، في حديث آخر: (لا تذكروا موتاكم إلا بخير، إن يكونوا من أهل الجنة تأثموا، وإن يكونوا من أهل النار فحسبهم ما هم فيه)^(٢)، في حديث آخر: (لا تذكروا هلككم إلا بخير)^(٣).

انتفض ربيع غضبًا، وقال: ويلك.. أترد على ابن كثير والصنعاني ووهب وخيار السلف؟.. من أنت؟.. ألا تعرف أن ابن كثير حافظ من حفاظ الحديث؟.. إنه يحفظ الأحاديث بطرقها وأسانيدها وكل شيء يرتبط بها.. أتحسب أيها النكرة أن مثل هذه الأحاديث غابت عنه حتى تذكره بها؟.

قال السائق: أنا لم أخاطب ابن كثير بهذه الأحاديث إنما خاطبتك أنت.. وذكرت لك أن ما ذكره ابن كثير يخالف ما ورد في الأحاديث.

قال الربيع: ويلك.. ألا تزال مصرًا على معارضة

(١) رواه أحمد والبخاري والنسائي.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في (الموت)

(٣) رواه النسائي.

العلماء؟.. ألا تعلم أن لحومهم مسمومة؟.. ألا تعلم أن
وقائع الله بمنقضيهم معلومة محتومة؟.

المالكي.. والصوفية

كان ربيع يخطب بكل حماسة، ولم يشأ السائق أن يقاطعه، فقد كان شديد الحياء، ولهذا تركه إلى أن انتهى من حديثه، وبعدها لم يشأ أن يجيبه، بل أخذ شريطاً آخر، وقال: لا بأس.. ما دام البوطي لم يعجبك.. وما دمت أراك تحب علماء الحرم، فلدي شريط لعالم من علماء مكة الكبار.. كان يدرس في الحرم النبوي.. إنه محمد بن علوي مالكي^(١).. لقد كان من..

قاطعه ربيع بقوة قائلاً: ويحك.. ما أشبهك بالغراب.. فلا أراك تقع إلا على الجيف والخبائث.. ألم تسمع ما قال

(١) محمد علوي المالكي واسمه محمد بن علوي بن عباس الإدريسي الحسني الهاشمي (١٣٦٧ هـ - ١٤٢٥ هـ)، أحد أبرز العلماء الذين جمعوا بين التصوف والفقهاء والحديث، ويُلقب بمحدث الحرمين. تنقل بين الكثير من الحواضر العلمية في العالم الإسلامي ليأخذ عن كبار العلماء، وسمحت له علاقته الشخصية الجيدة بالملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود دون إقصائه من قبل المؤسسة الدينية الرسمية التي تتبع المذهب الحنبلي وتعارض الصوفية. له مؤلفات كثيرة في علوم الحديث والفقهاء المالكي وواقع العالم الإسلامي.

شيخنا الجليل مقبل بن هادي الوادعي عنه.. لقد ذكره في شريط له بعنوان (حاطب ليل)، فقال: (محمد بن علوي مالكي حاطب ليل صوفي زائغ لا ينبغي أن يُعتمد عليه، ولا ينبغي أن يُحضر درسه)، ثم ذكر لنا أن أحد سلفنا الصالح، وهو (أيوب بن أبي تميمة) نهى إخوانه من السلفيين في عصره أن يحضروا حلقة عمرو بن عبيد، (فذلكم الزائغ الضال لا ينبغي أن تُحضر حلقاته ولا أن يُكثر سواده)

قال السائق: دعك من شيخك.. فقد يكون أخطأ في حقه.. واسمع إلى كلامه، واحكم عليه بعد ذلك.. أليس شيخك بشراً كسائر البشر، يجوز عليه الخطأ والغفلة والسهو والنسيان؟

قال ربيع: ويحك أما زلت تتجرأ على لحوم العلماء.. أنتجرأ على الشيخ مقبل.. ألم تعلم أنه من أنصار السنة الكبار في هذا العصر؟.. ألم تعلم أن الجرأة على علماء السنة تعدل الجرأة على رسول الله ﷺ نفسها؟.. فعلماء السنة هم حملة حديث رسول الله ﷺ، وهم لا يختلفون عن رسول الله ﷺ في الحرمة في هذا الجانب.

لقد ذكر العلامة الكبير المحدث يحيى الحجوري جهوده في مقاومة المبتدعة من الصوفية والرافضة وغيرهم فقال: (قد خرج شيخنا العلامة مقبل بن هادي الوادعي وكثير من الناس يخطبون خطب عشواء وتجري عقولهم في اقتناص مصالحهم على غير السواء، فجدد الله به في البلاد أمر دينها، وحمى به جناب السنة وعريتها، فشرم عن ساعد الجد بتشديد علوم كتاب الله وسنة رسوله وتبينها وتزييف تلك الضلالات وتوهينها، فعلم وصنف ودعا إلى الله عز وجل بكل ثبات ويقين، وفضح الله به الزنادقة والملحدين والمبتدعة الضلال والمتهورين، حتى كان محل ثقة المسلمين الرحال وقطعوا السهول والجبال فأحياء الله حياة طيبة مزدهرة بالعلم والتعلم والنصح والتوجيه والفتوى والبيان)^(١).

قال السائق: أنا لم أتعرض يا بني لشيخك بقليل أو كثير.. لا بمدح ولا بهجاء.. لكني فقط ذكرت لك أنه

(١) من كتاب (نبذة بسيرة من حياة أحد أعلام الجزيرة)، لأبي همام محمد بن علي بن أحمد فرج الصومعي البيضاني، وقدم له فيها الشيخ يحيى الحجوري..

عليك ألا تكتفي بمقولة شيخك من غير بيان ولا دليل؟
قال ربيع: وهل تحسب أنني اكتفيت بمقولة شيخي، إننا
- معشر السنة - لا نكتفي بمحدث واحد، بل نظل نتردد
على العلماء لنستوثق من المعلومة، ونتبينها.
لقد أصدرت فيه هيئة كبار العلماء قرارها الخطير^(١).
بإخراجه من أهل السنة، واعتباره من أهل البدعة، وأنه
من الدعاة (إلى الشرك بالله سبحانه والدعوة إلى البدع
والمنكرات والضلالات والبعد عما عليه سلف هذه الأمة
من سلامة العقيدة وصدق العبودية لله تعالى في ألوهيته
وربوبيته وكمال ذاته وصفاته)

ومنذ ذلك القرار وأعلام أهل السنة يكتبون الكتب في
الرد عليه، فكتب صالح آل الشيخ في (هذه مفاهيمنا) ردًّا
على كتاب (مفاهيم يجب أن تصحح).. وكتب سمير
المالكي في (جلاء البصائر) في الرد على كتابي (شفاء
الفوؤاد) (والذخائر).. وكتب أبو بكر الجزائري في (كمال

(١) قرار هيئة كبار العلماء بالسعودية رقم ٨٦ وتاريخ ١١ / ١١ / ١٤٠١

الأمة في صلاح عقيدتها): في الرد على (الذخائر)، وفي (وجاءوا يركضون) في الرد على (من دافع عن المالكي).. وكتب سفر الحوالي في (الرد على شركات المالكي) رد فيه على كتاب (شفاء الفؤاد)، وله أيضًا (الرد على الخرافيين)، وهي خمسة أشرطة، رد فيها على صوفيات المالكي.. وكتب ابن منيع في (حوار مع المالكي) رد فيه على (بدعة المولد).. وكتب حمود التويجري في (الرد القوي) رد فيه على من (دافع عن المالكي).. وكتب إسماعيل الأنصاري في (القول الفصل) رد فيه عليه في بدعة المولد.. وغيرها كثير.

أراد السائق أن يعلق على قوله، فقاطعه ربيع بقوة، وقال: ألا يكفيك كل هذا؟ أم تريد من المطابع أن تتوقف عن طباعة كل الكتب لتخلص لطباعة ما يكتب كل يوم للرد عليه.

اسمع جيدًا ما قال عبد الله بن سليمان بن منيع - أحد قضاة محكمة التمييز بالمنطقة الغربية، وعضو هيئة كبار العلماء - في مقدمة كتابه في الرد عليه، والذي عنوانه بـ

(حوار مع المالكي)^(١)، والذي جاء فيه: (لقد تتابعت سموم هذا الضال المضل على العقيدة السلفية بما ينشره من مؤلفات أطمها وأغمها وأكثرها بلاءً ومقتاً وفحشاً كتابه (الذخائر المحمدية)، وآخرها فيما علمنا أن يكون آخرها في مجال الدعوة إلى البدع والضلالات رسالته البتراء المسماة (حول الاحتفال بالمولد النبوي الشريف)، وهي رسالة تشتمل على الكثير من المغالطات والتلبيسات والتشبيه على العقول)^(٢).

وقال شمس الدين السلفي: (ألف محمد علوي المالكي أحد الدعاة إلى القبورية في عصرنا هذا كتابه القبوري (مفاهيم يجب أن تصحح) برهن فيه على أنه ملبس مدلس قبوري خرافي...)^(٣).
وقد حدثني بعض أصدقائي من مكة المكرمة أنه لما

(١) وقد رد على هذا الكتاب الشيخ يوسف هاشم الرفاعي في رسالة بعنوان (الرد على بن منيع)، بالإضافة إلى كتاب آخر ألفه اثنان من المغاربة فسي الدفاع عن المالكي سميّاه (التحذير من الاغترار بما جاء في كتاب الحوار).

(٢) حوار مع المالكي (ص: ٣).

(٣) جهود علماء الحنفية (١٧٩٧/٣).

أدخلت جنازته للحرم في صلاة المغرب لتصلى عليه
الجنازة رأى الشيخ السديس زحمة الناس، فسأل عن
السبب، فقالوا له: هذه جنازة محمد علوي مالكي.. فرفض
الشيخ الصلاة عليه..

وتركوا الجنازة الى صلاة العشاء.. وقتها كان الشيخ
(...) يصلي بهم العشاء، وكان عنده علم بصاحب
الجنازة.. في البداية رفض الصلاة عليه.. وبعدها كثر
اللغو من أتباع المالكي.. وقتها دخلت جناز، فوافق
الشيخ الصلاة على كل الجنائز، ومن ضمنهم جنازة
المالكي.

قال السائق: ولكن يا بني.. ألا ترى أن في هذا تشددًا،
فصلاة الجنازة عبادة، وهي حق لكل مسلم.
قال ربيع: لو كان مسلمًا لصلى عليه.. فكيف وهو
صاحب بدعة محرمة.. وقد ترك سلفنا الصالح الصلاة
على من هو دونه.. لقد حدث مؤمل بن إسماعيل، قال:
مات عبد العزيز، فجيء بجنازته، فوضعت عند باب
الصفاء، وجاء سفيان الثوري، فقال الناس: جاء سفيان،
جاء سفيان. فجاء حتى خرق الصفوف، وجاوز الجنازة،

ولم يصل عليها؛ لأنه كان يرى الإرجاء. فقليل لسفيان في ذلك، فقال: (والله إني لأرى الصلاة على من هو دونه عندي، ولكن أردت أن أرى الناس أنه مات على بدعة) قال السائق: ولكن.. ألا ترى - يا بني - أن كل من ذكرت أبناء مدرسة واحدة، ولهذا تراهم يتفقون، ولا يختلفون، لو أنك وسعت مدارك أكثر، ورأيت علماء آخرين من مدارس أخرى، لوجدت آراء أخرى تزيد أفقك اتساعاً، ومواقفك وضوحاً.

قال ربيع: أتريدني أن أترك روضات أهل السنة المريضة، لأرعي في فيافي المبتدعة المجدبة.. أمجنون أنا؟

قال السائق: لا بأس.. ولكني أراك تكتفي بذكر آراء الرجال، وهم قد يخطئون في أحكامهم.

قال ربيع: وهل تحسب أننا مثل معشر المقلدين نكتفي بحفظ المقولات دون أدلتها.. لقد ساق لنا مشايخنا الكثير من كفرياتة ليبرهنوا لنا على ذلك..

لقد ذكروا لنا أنه كتب كتابا سماه (مفاهيم يجب أن تصحح) اثنى فيه على التصوف، ودعا فيه إلى الاستغاثة

بالرسول ﷺ، وبغيره من الأولياء، كما دعا إلى شد
الرحال إلى قبر النبي ﷺ.. بل كتب في ذلك كتابا سماه
(شفاء الفؤاد في زيارة خير العباد)

وذكر لنا أنه من الدعاة إلى إحياء الاحتفالات المبتدعة
أمثال الاحتفال بالمولد النبوي وكتب في ذلك رسالته
(حول الاحتفال بالمولد النبوي الشريف) و(البيان
والتعريف في ذكرى المولد الشريف)

كما أن له كتاب بعنوان (الذخائر المحمدية) نشر فيه
كثيراً من معتقدات الصوفية في الرسول ﷺ والتي
تحتوي على الغلو المنهي عنه في صحيح السنة النبوية!!
ومن ذلك أنه نقل فيه بيتاً من الهمزية الممثلة كفراً،
وهو قوله مخاطباً رسول الله ﷺ:

ليته خصني برؤية وجهه

زال عن كل من رآه العناء
وهذا كذبٌ وباطلٌ، وقد رآه في حياته ﷺ أقوامٌ
كثيرون، فما زال عنهم عناؤهم ولا كفرهم.

وقال فيه: (من استغرق في محبة الأنبياء والصالحين
حمله ذلك على الإذن في تقبيل قبورهم والتمسح بها،

وتمرغ الخد عليها^(١). ونسب أشياء من ذلك إلى بعض الصحابة، وأقر ذلك ولم ينكره، مع أن تلك الأمور من البدع ووسائل الشرك الأكبر، ونسبتها إلى بعض الصحابة باطلة.

وذكر في نفسه كتابه السابق: (أن زيارة قبره الشريف ﷺ من كمال الحج، وأن زيارته عند الصوفية فرض، وأن الهجرة إلى قبره عندهم كالهجرة إليه حيًّا)^(٢).. وأقر ذلك ولم ينكره مع أن جميع ذلك شرك وضلالة.. وصاحبه قبوري مشرك.

(١) الذخائر المحمدية، ص ٥٢.

(٢) المرجع السابق، ص ٦٠.

مصطفى محمود.. والباطنية

لم يجد السائق إلا أن يأخذ شريطاً آخر، ثم يتوجه به إلى المسافرين، ويقول: لا بأس.. أظن أن لصاحبكم مواقف سلبية من الصوفية.. ولهذا لن نخرجه بأن يسمع ما لا يرضيه.. لدي بحمد الله في هذه الحقبة الكثير من الأشرطة لعلماء مختلفين.. وهذا أحدها.. أنا أحبه كثيراً.. إنه شريط وثائقي بتعليق علم من أعلام عصرنا الكبار.. جمع في شخصه بين العلم والأدب والإيمان.. واستطاع أن يؤثر في أجيال كثيرة، وأن يعرض الإسلام بصورة نقية جميلة.. إنه مصطفى محمود..

انتفض ربيع بقوة، وقال: ويلك.. ما الذي تقول.. متى أصبح الرؤيبيضة^(١) النافاة الحقير من لا يؤبه له الفؤيسبقُ عالماً يستمع له الناس؟

(١) الرؤيبيضة: تصغير الرابضة، وهو راعي الربيض، والربيض: الغنم، وقيل: الرؤيبيضة تصغير الرابضة، وهو العاجز الذي ربض عن معالي الأمور، وقعد عن طلبها، وزيادة التاء للمبالغة. وقيل التافه: الخسيس الحقير. كما في النهاية في غريب الحديث والأثر (٤٦٠/٢)

أين أنت يا شيخنا الألباني لتسمع ما يقول هذا النكرة
عن مصطفى محمود؟.. صدق رسول الله ﷺ حين
قال: (قبل الساعة سنون خداعة، يصدق فيهن الكاذب،
ويكذب فيهن الصادق، ويخون فيهن الأمين، ويؤتمن فيها
الخائن، وينطق فيهن الروبيضة)^(١).

وصدقت يا شيخنا ناصر الدين حين قلت: (وما أكثر
هؤلاء (الصغار) الذين يتكلمون في أمر المسلمين بجهل
بالغ، الأمر الذي أكد لي أننا في زمان تجلّت فيه بعض
أشراط الساعة)

قال السائق: ما تقول يا رجل؟.. مصطفى محمود ليس
كما ذكرت.. إنه باحث كبير.. وكتبه كلها تدل على ذلك..
وما دمت قد اعتبرت محمد بن علوي المالكي خرافياً، فقد
أتيتك بهذا؛ لأنه طبيب وباحث في مجالات مختلفة حتى
أنه كتب في نظرية النسبية وحاول تبسيطها للعامة، ويندرج
أن يوجد علم من العلوم إلا وتحدث فيه حديث عالم مهتم.

(١) رواه الحاكم في المستدرک (٤/٤٦٥)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ
الإِسْتِادِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ، وَوَأَقْفَهُ الذَّهَبِيُّ.

ضحك ربيع بقوة، وقال: لقد اطلعت على كتبه، فلم أراه يخرج حديثاً واحداً.. ولم أراه ينقل نصاً واحداً عن السلف.. إنه مغرم فقط بالكلام.. كل كتبه كلام في كلام.

قال السائق: لقد نجح في عرض الإسلام بطريقة مهذبة مسالمة حضارية.. وهذا ما جعل الكثير ينجذب إليه.

لقد انتقد الإسلام السياسي، فكتب يقول في كتابه (الإسلام السياسي والمعركة القادمة) يرد على من جعلوا من الإسلام وسيلة لطلب المناصب والكراسي: (الإسلام السياسي وعي واستتارة ودعوة بالحسنى إلى كلمة سواء، وهو ليس مؤمرات وانقلابات وسباقات على الكراسي، إنه دعوة للحرية والعدالة وللتقدم في جميع الميادين تحت راية التوحيد والتقوى.. الإسلام السياسي هو صناعة رأي عام مستتير، يجمع الأمة ولا يفرقها.. يجمع الحلبي والشامي والمغربي والنصراني والمسلم والعلماني..).

قاطع ربيع بقوة، وقال: وأين الولاء والبراء.. إذا اجتمع المسلم مع النصراني مع العلماني انهد الإسلام.. إن الذي يقول هذا لا يعرف الإسلام.

قال السائق: كيف تقول هذا عن مصطفى محمود.. إن حديثه عن الإسلام حديث عارف ذائق مؤمن.. لقد كتب كتابًا بعنوان (الإسلام.. ماهو..؟) أبان فيه عن فهمه العميق للدين.. اسمع ما يقول في تعريفه للدين.. لقد قال: (الدين ليس حرفة ولا يصلح لأن يكون حرفة.. ولا توجد في الإسلام وظيفة اسمها رجل دين.. ومجموعة الشعائر والمناسك التي يؤديها المسلم يمكن أن تؤدي في روتينية مكررة فاترة خالية من الشعور، فلا تكون من الدين في شيء.. وليس عندنا زي اسمه زي إسلامي.. والجلباب والسروال والشمروخ واللحية أعراف وعادات يشترك فيها المسلم والبوذي والمجوسي والدرزي.. ومطربو الديسكو والهيبي لحاهم أطول.. وأن يكون اسمك محمدًا أو عليًا أو عثمان، لا يكفي لتكون مسلمًا.. وديانتك على البطاقة هي الأخرى مجرد كلمة.. والسبحة والتمتمة والححمة، وسمت الدراويش وتهليلة المشايخ أحيانًا يباشرها الممثلون بإجادة أكثر من أصحابها.. والرايات واللافات والمجامر والمباخر والجماعات الدينية أحيانًا

يخفتي وراءها التآمر والمكر السياسي والفتن والثورات التي لا تمت إلى الدين بسبب..^(١).

قهقهه ربيع بصوت عال، وقال: إذا أخرجت اللحية والقميص والاسم وكل ما ذكرت من الدين.. فما الذي بقي منه؟.. وكيف نفرق بين صلوك شيوعي وتقي مسلم؟.. أم ننتظر حتى يأتي وقت الصلاة لنفرق بينهما.

قال السائق: لقد أجاب مصطفى محمود على ذلك، فقال: (الدين حالة قلبية.. شعور.. إحساس باطني بالغيب.. وإدراك مبهم، لكن مع إيhamه شديد الوضوح بأن هناك قوة خفية حكيمة مهيمنة عليا تدبر كل شيء.. إحساس تام قاهر بأن هناك ذاتاً عليا.. وأن المملكة لها ملك.. وأنه لا مهرب لظالم ولا إفلات لمجرم.. وأنت حر مسئول لم تولد عبثاً ولا تحيا سدى وأن موتك ليس نهايتك.. وإنما سيعبر بك إلى حيث لا تعلم.. إلى غيب من حيث جئت من غيب.. والوجود مستمر.. وهذا الإحساس يورث الرهبة والتقوى والورع، ويدفع إلى

(١) مصطفى محمود، الإسلام ما هو؟، ص٣.

مراجعة النفس ويحفر صاحبه لأن يبدع من حياته شيئاً ذا قيمة، ويصوغ من نفسه وجوداً أرقى وأرقى كل لحظة، متحسباً لليوم الذي يلاقي فيه ذلك الملك العظيم.. مالك الملك.. هذه الأزمة الوجودية المتجددة والمعاناة الخلاقة المبدعة والشعور المتصل بالحضور أبداً منذ قبل الميلاد إلى ما بعد الموت.. والإحساس بالمسئولية والشعور بالحكمة والجمال والنظام والجدية في كل شيء.. هو حقيقة الدين.. إنما تأتي العبادات والطاعات بعد ذلك شواهد على هذه الحالة القلبية.. لكن الحالة القلبية هي الأصل.. وهي عين الدين وكنهه وجوهره^(١).

قاطع ربيع بقوة، وقال: هذا دين الباطنية لا دين الإسلام.. لقد حذرنا مشايخنا من كلماته الخطيرة تلك، لقد قال في كتابه الذي تجاسر فيه على تعريف الدين: (إن العمدة في مسألة الدين والتدين هي الحالة القلبية.. ماذا يشغل القلب.. وماذا يجول بالخاطر؟.. وما الحب الغالب على المشاعر؟.. ولأي شيء الأفضلية القصوى؟.. وماذا

(١) المرجع السابق، ص ٤.

يختار القلب في اللحظة الحاسمة ؟.. وإلى أي كفة يميل الهوى ؟.. تلك هي المؤشرات التي سوف تدل على الدين من عدمه.. وهي أكثر دلالة من الصلاة الشكلية^(١).

قال السائق: ما أجمل هذه الكلمات..

قاطع ربيع: بل ما أفبها.. هذا دين الباطنة والملاحدة والزنادقة لا دين المسلمين.

قال السائق: كيف تقول ذلك، والرجل يدعو إلى الحرص على ظاهر الإسلام كما يدعو إلى الحرص على باطنه.. هو فقط يدعو إلى الاهتمام بالباطن؛ لأن الصلاة التي لا يصحبها الخشوع وذكر الله وتعظيمه لا تفيد صاحبها شيئاً.. لقد قال في كتابه ذلك: (إنما تكتسب الصلاة أهميتها القصوى في قدرتها على تصفية القلب وجمع الهمة وتحشيد الفكر وتركيز المشاعر.. وكثرة الصلاة تفتح هذه العين الداخلية وتوسع هذا النهر الباطني، وهي الجمعية الوجودية مع الله التي تعبر عن الدين بأكثر مما يعبر أي فعل.. وهي رسم الإسلام الذي يرسمه الجسم

(١) المرجع السابق، ص ٦.

على الأرض، سجودًا، وركوعًا وخشوعًا وابتهالاً،
وفناء.. وبسجود القلب يتجسد المعنى الباطني العميق
للدين، وتتعدّد الصلة بأوثق ما تكون بين العبد
والرب..^(١).

قال ربيع: إن كل كلماته تفوح منها روائح الباطنية..
ولأنك مجرد سائق بسيط، لا حظّ لك في العلم، ولا
جلوس لك مع العلماء تتطلي عليك أمثال هذه العبارات..
القوم لا يريدون من الصلاة ما نعرفه من الصلاة.. إنهم
يقصدون بها جلسات التأمل الشيطانية.. ولهذا هم لا
يؤمنون بشعائر الدين التي نص عليها الفقهاء.. بل هم
يسخرون منها.

قال السائق: كيف تقول ذلك.. لقد كان يذكر الرجل
حركات الصلاة الظاهرة التي نص عليها الفقهاء، ويبين
المعاني العميقة التي تخزنها، فقد قال في نفس ذلك
الكتاب، وهو ينتقد التصور الخاطيء لغير المسلمين عن
صلاة المسلمين: (وخطأ الأوربي أنه يظن أن الصلاة

(١) المرجع السابق، ص٧.

الإسلامية هي مجرد حركات وأنها على الأكثر مجرد اغتسال ورياضة بدنية، ولهذا يقف عند ظاهر الأمر لا يتخطاه.. وينسى أن الحركات في الصلاة مجرد رمز فهي وقوف إكبار لله مع كلمة (الله أكبر)، ثم ركوع، ثم فناء بالسجدة وملامسة الأرض خشوعاً وخضوعاً، وبذلك تتم حالة الخلع والتجرد والسكنة الكاملة النفسية.. ولا يبقى إلا استشعار العظمة لله تسييحاً.. سبحان ربي الأعلى ويحمده.. فالصلاة هي المعراج الأصغر وهي نصيب المسلم من المعراج الأكبر الذي عرج فيه محمد - عليه الصلاة والسلام - إلى ربه.. وهي ليست مجرد حركات.. بل هي أسرار ورحمات.. وأشرفها وأرفعها صلاة الفجر التي تشهدا الملائكة.. وصلاة قيام الليل.. التي نال صاحبها بها المقام المحمود^(١).

التفت السائق إلى ربيع، وقال: هل ترى في هذه الكلمات أي باطنية أو إلحاد أو إنكار لشعائر الدين وشرائعه؟

(١) المرجع السابق، ص ١٣.

إن نفس هذا المعنى ذكره عند حديثه عن الصيام، فهو يرى أن (الصيام الرفيع.. ليس تبطلاً.. ولا نومًا بطول النهار، وسهرًا أمام التليفزيون بطول الليل.. وليس قيامًا متكاسلاً في الصباح إلى العمل.. وليس نرفزة وضيق صدر وتوترًا مع الناس.. فالله في غنى عن مثل هذا الصيام، وهو يرده على صاحبه ولا يقبله، فلا ينال منه إلا الجوع والعطش.. وإنما الصيام هو ركوب لدابة الجسد لتكديح إلى الله بالعمل الصالح والقول الحسن والعبادة الحقة..)^(١).

هل ترى ما يقوله هنا أيضًا صومًا باطنياً؟
لم يجد ربيع إلا أن انتفض غاضباً، وهو يقول: دعك من هذا.. فالرجل عندنا كافر زنديق ضال مضل.. كل كتبه وكلماته تدل على ذلك.. ألا تراه يثني على ابن عربي وأبي العزائم في كتابه (السر الأعظم)، بل ويعتبرهم عارفين بالله.. إن كل من أثنى على هؤلاء زنديق عندنا.. بل إن كل من يطلقون عليه لقب (العارف)

(١) المرجع السابق، ص ١٩.

هو عندنا جاهل ملحد زنديق..

الشعراوي.. والأزهريون

كان السائق في غاية السماحة والسلام، ولهذا لم يشأ أن يقع معه في جدال، بل أخذ شريطاً آخر، وقال: لا بأس ما دام مصطفى محمود لم يعجبك.. فلدي شريط آخر لعالم من كبار العلماء عشقه العامة كما عشقه الخاصة.. كان يفسر القرآن الكريم فتشربب الأعناق لتفسيره.. كان ذا روحانية عالية..

قاطعته ربيع، وقال: دعك من كل هذه الأوصاف.. ألا تعلم نهي رسول الله ﷺ عن المدح.. ألا تعلم أمره بأن يحثى التراب على وجوه المداحين، فقد ورد في الحديث عن أبي معمر قال: قام رجل يثنى على أمير من الأمراء، فجعل المقداد يحثى عليه التراب، وقال: (أمرنا رسول الله ﷺ أن نحثى في وجوه المداحين التراب)^(١).

قال السائق: صدق رسول الله ﷺ، وأنا لم أقصد المدح، بل قصدت فقط أن أرغبكم في الاستماع إليه، والاستفادة منه.

(١) رواه مسلم.

قال ربيع: من هو، فلا أظنه إلا جيفة من الجيف التي
عودتنا عليها.

قال السائق: كيف يكون جيفة.. إن كلامه يحيي القلوب
الميتة..

قاطع ربيع: عدت إلى المدح من جديد.. أخبرنا عن
اسمه من دون مقدمات.

قال السائق: لا بأس.. هو الشيخ محمد متولى
الشعراوي..

قهقه ربيع بصوت عال، وقال: ألم أقل لكم.. إن
صاحبنا لا يختلف عن الغراب.. إنه لا يقع إلا على
الجيف.. قبحك الله ألا تعلم ما يقول الثقة المحققون سدنة
الدين ورعاته في الشعراوي؟

ألا تعرف أن الحجة الثقة الضابط المحقق علم الدين
وناصر الملة الشيخ العلامة الحبر البحر الفهامة (محمد
ناصر الدين الالبانى) رحمه الله ورضي عنه وقدس
روحه الشريفة سئل عن النكرة الروبيضة القبوري الملحد
الشعراوي، وقد كان السائل مثلك أحمق لا يقع إلا على
الجيف، وكان معجباً بالشعراوي إعجاباً شديداً فأجابه

العلامة بقوله: (هو منحرف عن العقيدة وكثيراً ما يتأول الآيات بتأويل لتناسب مفاهيم العصر الحاضر.. لا يؤخذ عنه العلم.. عنده أسلوب جيد جذاب لكن ما عنده علم صحيح ولهذا فالذي يريد أن يستمع إليه مأخوذاً بروعة أسلوبه يجب أن يأخذ حذره من أن يتلقن منه ما ليس بصحيح.. لقد ذكر لي بعضهم أنه سأله عن قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (طه: ٥)، وقال له: هل يوصف ربنا بأن له صفة العلو؟ فنثار عليه الشعراوي ثورة عظيمة، وذكر له أن الله ليس له مكان وليس له زمان.. وأظن أن هذا وحده كاف في بيان ضلاله.. بالإضافة إلى ذلك فهو من علماء الأزهر.. وعلماء الأزهر علماء يتقنون اللغة العربية.. لكنهم بعيدون عن السنة كل البعد)^(١).

قال السائق: ألا ترى أن شيخك قد بالغ قليلاً حين حكم على جميع علماء الأزهر أنهم بعيدون عن السنة؟ انتفض ربيع غاضباً، وهو يقول: ويحك.. كيف تتجرأ

(١) شريط رقم ٢٠٦ من سلسلة الهدى والنور بتصرف.

على رمي المحقق المدقق بالمبالغة.. إن جميع كلماته موزونة بموازين دقيقة.. ألا تعرف موازين المحدثين.. إنهم لا يقولون لغواً.. إنهم لا يقولون كذباً.. إنهم لا يقولون زوراً.. إنهم لا ينطقون عن هوى.. إن كلامهم ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ (فصلت: ٤٢)، ولهذا أبيحت لهم الغيبة التي حرمت على غيرهم.

ألا تعلم أن النيل من أهل الحديث ومن سار على نهجهم أمر عظيم، فبه صرف الناس عن الحق الذي هم عليه، ولهذا شدد سلف هذه الأمة الصالحون المهتدون على من ينال منهم أقل نيل، فعن سفيان الثوري أنه قال: (استوصوا بأهل السنة خيراً؛ فإنهم غرباء). والظاهر أن سفيان يريد أهل الحديث؛ لأن المنتسبين إلى السنة الذين يقابلون أهل البدع في عصره كانوا أكثرية، والدولة والسلطان بأيديهم.

وقد فسّر كل العلماء المحققين الغرباء والفرقة الناجية والطائفة المنصورة بأهل الحديث وبأهل السنة، ومرادهم بأهل السنة أهل الحديث، وقد ورد في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: (لا يزال ناس من أمتي منصورين لا

يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة)^(١)، وقد سئل الإمام أحمد عن معنى هذا الحديث؟ فقال: إن لم تكن هذه الطائفة المنصورة أصحاب الحديث؛ فلا أدري من هم؟!.. وقال فيهم حفص بن غياث: هم خير أهل الدنيا.. وعن بكر بن عيَّاش أنه قال: إني لأرجو أن يكون أصحاب الحديث خير الناس.. وقد قال الحاكم مؤيدًا قولهما: ولقد صدقا جميعًا أن أصحاب الحديث خير الناس، وكيف لا يكونون كذلك؟! ثم شرع في الثناء عليهم... إلى أن قال: فالشذائد مع وجود الأسانيد العالية عندهم رخاء، ووجود الرخاء مع فقد ما طلبوه عندهم بؤس؛ فعقولهم بلذاتة السنَّة غامرة، وقلوبهم بالرخاء في الأحوال عامرة، تعلم السنن سرورهم، ومجالس العلم حُبورهم، وأهل السنَّة قاطبة إخوانهم، وأهل الإلحاد والبدع بأسرها أعداؤهم^(٢).

(١) سنن الترمذي: كتاب الفتن عن رسول الله ﷺ باب ما جاء في الشام ح(٢١٩٢).

(٢) هذه النصوص والتعليقات عليها مقتبسة من كتاب (أهل الحديث هم الطائفة المنصورة والفرقة الناجية - حوار مع سلمان بن فهد العودة)، ربيع المدخلي، من مواضع متفرقة.

سكت ربيع قليلاً يستجمع أنفاسه، فظن السائق أنه أكمل حديثه، فأراد أن يتحدث، فقاطعه ربيع بقوة، وهو يقول: دعني ويليك أكمل حديثي.. لقد قال يوسف بن موسى القطان: ازدحمنا يوماً على أبي بكر بن عياش، فقال: مالي أرى رؤوساً كأنها رؤوس الشياطين، فتتحينا عنه، فقال: ما أعلم في الدنيا قومًا خيرًا منهم هم قد عرفوا حديثي لو أخذوه وذهبوا من كان يقول لهم شيئاً.. وقال هشام بن خالد حدثنا الوليد بن مسلم قال: شيعنا الأوزاعي وقت انصرافنا من عنده فأبعد في تشيعينا حتى مشى معنا فرسخين أو ثلاثة فلنا له: أيها الشيخ يصعب عليك المشي على كبر سنك، فقال: امشوا واسكتوا لو علمت أن الله طبقة أو قومًا يباهي الله بهم، أو أفضل منكم، لمشيت معهم وشيعتهم، ولكنكم أفضل الناس.. وقال محمد ابن أحمد بن البراء العبدي سمعت عثمان بن أبي شيبة يقول - وكان رأى بعض أصحاب الحديث يضطربون - فقال: أما إن فاسقهم خير من عابد غيرهم.. وقال قتبية بن سعيد: إذا رأيت الرجل يحب أهل الحديث مثل يحيي بن سعيد القطان وعبد الرحمن بن مهدي وأحمد بن حنبل

وذكر قوماً آخرين فإنه على السنة ومن خالف هذا فاعلم أنه مبتدع.. وقال أحمد بن سنان: ليس في الدنيا مبتدع إلا وهو يبغض أهل الحديث، وإذا ابتدع الرجل نزع حلاوة الحديث من قلبه.

كان ربيع يخطب بقوة وحماسة، والزبد يتطاير من فمه، وجسمه يرتجف جميعاً، وكنت في ذلك الحين كالأبله أتفرج معجباً بحفظه وحماسه وطريقة نطقه بالألفاظ، ولم تكن لدي أي مصفاة أزن بها كلامه، لأميز بين حقه وباطله، وعاقله ومجنونه.

بعد أن انتهى من خطبته الطويلة، قال له السائق: يا بني اسمعني جيداً.. الذي أعلمه.. وأنا كما تراني إنسان أمي بسيط لا أحفظ ما تحفظ.. هو أن أهل الحديث وغيرهم مهما جل قدرهم بشر قد يخطئون وقد يصيبون.. وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ (النجم: ٣) نزل في رسول الله ﷺ ولم ينزل فيهم.

عاد ربيع إلى غضبه من جديد، وصاح في السائق: ويحك.. تكلتك أمك.. أنتجراً على أهل الحديث.. ألا تعلم أنه قيل للإمام أحمد: يا أبا عبد الله! ذكروا لابن أبي قتيلة

بمكة أصحاب الحديث، فقال: أصحاب الحديث قوم سوء.
فقام الإمام أحمد مثل قياسي هذا، وهو ينفض ثوبه، ثم
قال: زنديق، زنديق، زنديق. ودخل البيت.
وقال أحمد بن سنان القطان: ليس في الدنيا مبتدع؛ إلا
وهو يبغض أهل الحديث، وإذا ابتدع الرجل؛ نزع حلاوة
الحديث من قلبه.

السَّقَاف .. والمتكلمون

ترك السائق ربيعاً إلى أن انتهى من خطبته، ثم قال مخاطباً له بكل أدب: ما دمت قد أثبتت على أهل الحديث وذكرت فضلهم.. فلدي هنا بعض الأشرطة لعالم جليل من علماء الحديث.. أرى أن ما ذكرته ينطبق عليه تماماً.. فهو لا يقول زوراً، ولا ينطق عن هوى.

ابتسم ربيع، وقال: وأخيراً عدت إلى رشدك.. هات ضع الشريط.. وشنف آذاننا بأطيب كلام.. كلام المحدثين.

أخذ السائق يبحث عن الشريط، لكنه بمجرد أن وجده، وأراد وضعه أوقفه ربيع، وقال: رويدك يا رجل.. أخبرنا أولاً.. من هو هذا المحدث الذي تريد أن نسمعنا صوته؟ قال السائق: ألم تذكر أن أهل الحديث كلهم ثقافة.. وناجون.. ومنصورون؟

قال ربيع: لقد ظهر فيهم بعض المبتدعة، ممن تلاعب بهم الشيطان.. ولذلك أخبرنا أولاً من هو هذا المحدث؟ قال السائق: إنه حسن السقاف..

عاد الغضب إلى ربيع من جديد، وقام، وهو يقول:
ويلك.. ألم تعرف من المحدثين غير هذا المبتدع الضال
المضل.. ويلك ألا تقع إلا على الجيف.. لقد عقدنا
الاجتماعات الطويلة عنه، وكلنا اتفق على أنه^(١) (رافضي
خبِيث، من أكثر الناس مناداةً ودعوةً إلى وحدة الوجود..
إلا أنه لم يدم في دعوته إلى مبادئه العفنة طويلاً، فنتصل
وانخس، وأصبح يقرأ في عقائد الفرق الضالة، فأعجبته
فكرة دخوله أو تحوله إلى مذهب الرافضة ظناً منه - أو
تصديقاً لحاله - بأنه شريف من السادة آل البيت - على
حد تعبيره.. وأين هو من ذلك، فإذا نظرت إلى حقيقة هذا
الخشاف المتهور، وجدته كسراب بقية يحسبه الظمان
ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً، أو ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ
لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ
بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ
يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ (النور: ٤٠)، ولم

(١) الشنائم المذكورة هنا منقولة بتصرف من أكبر منتدى للسلفية، ملتقى

أهل الحديث، على هذا الرابط:

(<http://www.ahlaltheeth.com/vb/showthread.php?t=٦٦٢٤٦>)

يزل هذا المتهور المعثار يطعن في الدين ويشوّهه، متخذاً حسبه ونسبه - زاعماً - مطيةً للذس في الدين.. وقد تبعه على ذلك غلمان حدثاء الأسنان، يمرقون من الدين - وهم لا يشعرون - مروق السهم، فقد جرهم هذا المجرم باديء ذي بدء إلى وحدة الوجود - مستغلاً بذلك جهلهم - وها هو الآن يجرحهم وراءه إلى مذهب الرافضة، وهم لا يشعرون)

قال السائق: لا تعجل يا بني في أحكامك ولا تتسرع.. نعم هو اختلف مع الألباني في بعض الأمور.. لكن هذا لا ينفي عنه صفة أهل الحديث.. فكتبه تشهد بكونه محدثاً لا يقل عن كبار المحدثين المعاصرين إن لم يكن يتفوق عليهم.. أما كونه رافضياً، فلا أراه يرجع في كتبه إلى بحار الأنوار ولا إلى الكافي، بل أراه يرجع إلى البخاري ومسلم وكتب أهل السنة جميعاً.

قال ربيع: أهل الحديث الذين ورد مدحهم في النصوص هم الذين خلصوا للحديث.. أما الذين مزجوا حديثهم بعلم الكلام والتصوف.. فلا كرامة لهم.. ولا حرمة لهم.. ولحومهم حلال لمن يشاء أن يأكلها.. بل إنا

نتقرب إلى الله بدمهم والدعاء عليهم.

قال السائق: دعني يا بني أضع الشريط لتسمعه.. إنه في تنزيه الله.. إنه يذكر من الأدلة العقلية على ذلك ما يملأ القلب راحة وطمأنينة وإيماناً.

انتفض ربيع، وقال: وما علاقة العقل بالدين.. ألم تسمع ما ورد في نصوصنا المقدسة عن ذم العقل؟

قال السائق: كيف تقول ذلك.. ألم تقرأ القرآن الكريم؟.. ألم تقرأ ما ورد فيه من مدح العقل، ومن مدح أصحاب العقول؟

قال ربيع: من أنت حتى تتجرأ على القرآن الكريم.. لا يمكن أن تحتج بالقرآن ففيه الناسخ والمنسوخ.. والخاص والعام.. والمطلق والمقيد.. ما أدراك لعل الآية التي استدلت بها منسوخة.. أو أنها مخصصة.. أو أنها مقيدة..

قال السائق: إذا لم نرجع للقرآن الكريم.. فلمن نرجع؟
قال ربيع: إلينا.. إلى أهل الحديث.. فالسنة هي بيان القرآن.. ونحن ناقلو السنة.. ولا يفهم السنة من لم يرجع إلينا.

قال السائق: ولكن هذا الرجل متكلم كبير.. وهو يفسر السنة على منهج أهل الكلام..

غضب ربيع غضباً شديداً، وقال: ومتى صار المتكلم سنياً.. (لم يكن للبشرية بعلم الكلام علم منذ عرفت العلم فلم يعرفه السابق حتى يعلمه اللاحق ؛ لقد كان علماً مبتكراً جديداً ظل التاريخ، والواقع عليه شهيداً.. فقد نشأ في الدولة اليونانية، ودرس في مدارسها البيقورية والرواقية والسفسطائية وفي الدولة اليونانية بنيت العلوم المنطقية، ووضعت ضوابطها العقلية، وقال اليونان بأنه آلة تعصم عن الخطأ الأذهان، ولو عصم منهم الأذهان لقلنا صدق اليونان لكنهم مختلفون في أبسط قواعد ما يعرفون فأرسطاليس الذي رتب علم المنطق، وحرره. رد على أساتذته أفلاطون، وسقراط، وتبرأ منهما فلا يعصم عقل الإنسان مهما كان إلا بوحى من الرحمن يكشف له الغيب، ليصل بلا ريب، ثم زحف علم الكلام على أمة الإسلام فكان لها مضللاً، وفكرها مشتتاً، ولرأيها مفرقاً، ولوحدتها ممزقاً، وبقي إلى اليوم مشغلاً للقوم الذين تأثروا بالأبحاث الفلسفية في العقائد الإيمانية مع أنها توقيفية فيما

لمصيبة الإسلام من طريقة أهل الكلام^(١).

قال السائق: لا تعجل يا بني.. فعلم الكلام علم راسخ.. وله علماءؤه الكبار المشهود لهم بالعلم ونصرة الدين.. وهم كسائر الناس ليسوا معصومين.. ولا حرج على المجتهد أن يخطئ.. فقصدهم - حتى لو أخطأوا في بعض ما بحثوه - نصرته الدين والرد على الشبهات.

غضب ربيع غضباً شديداً، ثم قال: ألا تعلم ما أجاب به أبو عمر الضرير حين سئل عن تعلم علم الكلام للرد به على أهل الجهل؟ لقد وقف مثل موقفي هذا، وقال: الكلام كله جهل فلا تتعلم الجهل، فإنك كلما كنت بالجهل أعلم كنت بالعلم أجهل^(٢).. وقال أبو يوسف: العلم بالكلام، والخصومة جهل، والجهل بالكلام علم.. وقال الإمام مالك: لو كان الكلام علماً لتكلم فيه الصحابة، والتابعون

(١) هذا الكلام مقتبس من كتاب (الإمام في تحريم علم الكلام)، محمد بن أحمد العمري، عضو الدعوة والإرشاد بوزارة الشؤون الإسلامية بالمملكة العربية السعودية، دت، دط، ص ٥.

(٢) رواه العجلي في ذم الكلام ج ١ ص ٩٣، ومثله الآثار التالية كلها في صفحات متقاربة.

كما تكلموا في الأحكام، والشرائع، ولكنه باطل يدل على باطل.. وقال الشافعي: الكلام ليس من العلم.

قال السائق: أظن أن المشكلة وردتك من اسمه.. لا بأس.. فله اسم آخر.. إنه (علم التوحيد)

قهقهه ربيع بصوت عال، وقال: منذ متى صار علم التوحيد يتكلم عنه بالعقل.. علم التوحيد ما أخذ من النقل لا من العقل.. لقد قال العباس بن سريج: توحيد أهل العلم، وجماعة المسلمين أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله، وتوحيد أهل الباطل من المسلمين الخوض في الأعراض والأجسام، وإنما بعث النبي بإنكار ذلك^(١).. وسئل الإمام مالك عن التوحيد، فقال: محال أن يظن بالنبي صلى الله عليه وآله أنه علم أمته الإستجاء، ولم يعلمهم التوحيد.

قال السائق: ولكن من الناس من لا يتقبل النقل.. ولذلك نبدأ معه بالعقل.. فكيف ترانا نبادر الملحد الذي ينكر القرآن الكريم.. هل نخاطبه بما يفهمه أم بما لا

(٥) رواه العجلي في ذم الكلام وأهله ج ١ ص ٨٧.

يفهمه، ولا يقر به؟

قال ربيع: كل جدال بالعقل ضلالة.. لقد قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ (لقمان: ٢٠).. فلا يجادل في الرحمن إلا أتباع الشيطان.. والجدال في الله بالعقل أضل المسلمين عن النقل.. وقد أمر الله المسلمين بترك المجادلين والإعراض عنهم، وعدم القعود معهم قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الأعراف: ١٨٠)، بل جعل من قعد معهم في الإثم مثلهم. قال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ﴾ (النساء: ١٤٠).

قال السائق: صدق الله العظيم.. ولكن هذه الآيات الكريمة نزلت في المجادلين العابثين، لا في طالبي الحقيقة الذين يحتاجون من يجادلهم ويحاورهم.. وقد كان المتكلمون هم الذين تخصصوا في هذا.. وكان لهم

صوابهم، كما كان لهم خطؤهم.

قال ربيع: لو أنك رجعت إلى سلف الأمة لما وقعت في هذه الضلالات^(١).. لقد سئل أبو حنيفة عما أحدث الناس من الكلام في الأعراض، والأجسام فقال: مقالات الفلاسفة عليك بالأثر وطريقة السلف وإياك، وكل محدثة فإنها بدعة.. وقال: لعن الله عمرو بن عبيد إنه فتح للناس الطريق إلى علم الكلام.. وقال محمد بن الحسن: كان أبو حنيفة يحثنا على الفقه، وينهانا عن الكلام.. وقال أبو يوسف: العلم بالكلام، والخصومة جهل، والجهل بالكلام علم.. وقال: من طلب الدين بالكلام تزندق.. وقال عبد الرحمن بن مهدي: من طلب الكلام فأخر أمره إلى الزندقة.. ودخل رجل على مالك بن أنس، فسأله عن القرآن. فقال: لعنك من أصحاب عمرو بن عبيد، لعن الله عمراً، فإنه ابتدع هذه البدع من الكلام، ولو كان الكلام علماً لتكلم فيه الصحابة، والتابعون كما تكلموا في

(١) الآثار التي نقلها هنا كلها رواها العجلي في ذم الكلام وأهله ج ١ ص ٨٥، فما بعدها.

الأحكام، والشرائع، ولكنه باطل يدل على باطل.. وقال:
ياكم وأهل البدع فقيل: يا أبا عبد الله، وما البدع؟ قال:
أهل البدع الذين يتكلمون في أسماء الله، وصفاته، وكلامه،
وعلمه، وقدرته، ولا يسكتون عما سكت عنه الصحابة
والتابعون لهم بإحسان.. وقال الشافعي: لقد اطلعت من
أهل الكلام على شيءٍ والله ما توهمته قط، ولأن يبلى
المرء بما نهى الله عنه خلا الشرك بالله خير من أن يبتلى
بالكلام.. وقال: حكيم في أصحاب الكلام أن يضرّبوا
بالجرید، ويحملوا على الإبل، ويطاف بهم في العشائر،
والقبائل، ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب، والسنة، وأخذ
الكلام.

قال السائق، وهو بيتسم: على حسب قولك.. فإن كل
علماء الأمة على ضلالة.. وينبغي أن نضربهم جميعاً
بالجرید.

قال ربيع: كيف ذلك؟

قال السائق: ما هي الطوائف التي مارست الكلام في
تاريخ الإسلام؟

قال ربيع: كل الطوائف الضالة ما عدا أهل الحديث

الناجون المنصرون.. أما من عداهم فقد وقعوا في فخ علم الكلام.. فأهل الكلام، والعقل، والجدل هم: المعتزلة والجهمية والأشاعرة والماتريديّة والشيعّة الإثنا عشرية والشيعّة الزيدية والإباضية.. وكل من خاض بعقله في الدين.

قال السائق: أليس في هؤلاء علماء ومحققون وباحثون؟

قال ربيع: لا عالم إلا أهل الحديث.. أما من عداهم فهم في الضلالة يسدرون.. وفي غيهم يخوضون.. وإلى النار يوم القيامة يدخلون.

قال السائق: وما تقول فيما ورد في القرآن من ذكر البرهان، كما قال تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة: ١١١)، وعلم الكلام ليس سوى محاولة للبرهان على الحق.

قال ربيع: الحجة في برهان النقل لا في برهان العقل، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (الإسراء: ١٥)، فلو كان البرهان بمجرد العقل لعذب وإن لم يبعث الرسل.

قال السائق: اسمعني يا بني جيداً.. إن بعض ما تقوله صحيح.. فقد تدخل بعض أهل الكلام فيما يعنيههم.. ولكن ذلك لا يلغي أصل علمهم.. علم الكلام محاجة لأهل الباطل.. وقد ضرب الله تعالى مثلاً لذلك بإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَام: قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة: ٢٥٨).

قال ربيع: اسمعني جيداً أيها المجادل عن أهل الباطل.. علم الكلام باطل، ولا يدمغ الباطل إلا الحق، قال تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ (الأنبياء: ١٨).. محاجة إبراهيم للنمرود تعجيزية، وليست عقلية، وعجزه يدل على صدق إبراهيم، وصدق الأنبياء يعرف بالمعجزات لا بالعقل..

قال السائق: ولكن الله تعالى ذكر أنه لقن إبراهيم عليه السلام الحجة، فقال: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى

قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءٍ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾
(الأنعام: ٨٣)، وعلم الكلام ليس سوى حجج واحتجاجات.

قال ربيع: حجة إبراهيم مستمدة من الرحمن، وحجة
أهل الكلام مستمدة من اليونان. فتأمل ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا
آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ﴾ فالحجة مستمدة من النقل لا
من العقل، من وحي الرحمن لا من كلام اليونان.

قال السائق: لكن القرآن الكريم ذكر عن الأنبياء أنهم
كانوا يجادلون أقوامهم، كما قال تعالى عن نوح عليه
السلام، قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ
جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (هود: ٣٢)،
وأهل الكلام لا يمارسون سوى ذلك اقتداء بالأنبياء عليهم
السلام.

قال ربيع: جدال الأنبياء لأهل الباطل بعلم مستمد من
الرحمن، وجدال أهل الكلام بجهل مستمد من اليونان..
قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْتَةٍ مِّن رَّبِّي
وَأَتَانِي رَحْمَةٌ مِّنْ عِنْدِهِ فَعَمَّيْتُ عَلَيْكُمُ نَارًا مِّن مَّوَاهِبِي
وَأَتَانِي رَحْمَةٌ مِّنْ عِنْدِهِ فَكُلُوا مِن مَّا تَرْتَدُونَ﴾ (هود: ٢٨).

قال السائق: ألا ترى أن القرآن كله محاجة لأهل

الباطل.. وهو يستعمل ما تعارفت عليه العقول من المنطق؟ ألم تسمع إلى الله تعالى وهو يقول: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (الأنبياء: ٢٢)، وهذه محاجة بقضايا عقلية منطقية.

قال ربيع: النقل هو الذي أعطى الحجة للعقل فمتى كان العقل يعرف التوحيد قبل النقل، فالعقل لا يعلم العقائد، والشرائع إلا بالنقل، ولو عرفت بالعقل لما احتاج العقلاء إلى كتب وأنبياء.

قال السائق: لكن الله تعالى أمرنا بالتدبر فقال: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (النساء: ٨٢)، وقال: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ (ص: ٢٩).

وأمرنا بالتفكر، فقال: ﴿كَذَلِكَ نَفُصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (يونس: ٢٤)، وقال: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لَتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل: ٤٤).
وأمرنا بالتعقل، فقال: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (يوسف: ٢)، وقال: ﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ

تَعْلُونَ ﴿البقرة: ٧٣﴾.

وهذه الأمور جميعاً تفتقر إلى العقل.

غضب ربيع غضباً شديداً، وقال: ويحك.. تباً لك من مجادل عنيد.. إن قول رسول الله ﷺ: (أَخَوْفُ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي مُنَافِقٌ عَلِيمٌ اللِّسَانِ يُجَادِلُ بِالْقُرْآنِ)^(١) ليصدق فيك، وينطبق عليك، وأنت حقيق به.

قال السائق: إن لم نحتج بالقرآن ونرجع إليه.. فلمن

نرجع؟

قال ربيع: القرآن حمال وجوه.. ولذلك لا بد من العودة إلى السنة.. وإلى كلام السلف الذين هم أولى الناس بالقرآن.

قال السائق: فقد قال رسول الله ﷺ..

قاطع ربيع بقوة، وقال: اسكت.. ويحك.. أتريد أن تكذب علينا.

قال السائق: لا.. كنت أريد أن أذكر لك حديثاً لرسول

الله ﷺ يؤيد ما ذكرت.

(١) رواه ابن عبد البر.

قال ربيع: وذلك هو الكذب.. فقد اتفق المحدثون على أنه لم يصح في فضل العقل شيء، لقد قال العلامة ابن القيم: (أحاديث العقل كلها كذب)^(١) ونقل عن أبي الفتح الأزدي وأبي جعفر العقيلي وابن حبان: (أنه لا يصح في العقل حديث).. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره: (أحاديث العقل كلها موضوعة)^(٢).

قال السائق: لا بأس.. فلندع هذا الحديث، ولنستمع كلام هذا العالم ونزنه بموازين الكتاب والسنة، فإن رأيت أنه يخالف ما ورد بهما ضربنا به عرض الجدار.

قال ربيع: ويلك.. ثم ويلك.. لأن أصب القطران في أذني أحب إليّ من أن أستمع إلى هذا الدعي الصعلوك الكذاب المفتري.. لقد قال الإمام أبو عثمان الصابوني في صفة أهل السنة: ويبغضون أهل البدع، الذين أحدثوا في الدين ما ليس منه، ولا يحبونهم، ولا يصحبونهم، ولا يسمعون كلامهم، ولا يجالسونهم، ولا يجادلونهم في

(١) المنار المنيف (ص ٢٥).

(٢) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (٥/

٤٠٠).

الدين، ولا يناظرونهم، ويرون صون آذانهم عن سماع أباطيلهم، التي إذا مرت بالأذان، وقرت في القلوب ضرت، وجرت إليها الوسوس والخطرات الفاسدة ما جرت^(١).. وقال سفيان الثوري: من أصغى بسمعه إلى صاحب بدعة، وهو يعلم، خرج من عصمة الله، ووكل إلى نفسه.. وقال: من سمع ببدعة، فلا يحكها لجلسائه، لا يلقيها في قلوبهم.. وقال ابن بطة: فإله الله معشر المسلمين، لا يحملن أحدًا منكم حسن ظنه بنفسه، وما عهده من معرفته بصحة مذهبه على المخاطرة بدينه في مجالسة بعض أهل هذه الأهواء، فيقول: أداخله لأنظره، أو لأستخرج منه مذهبه، فإنهم أشد فتنة من الدجال، وكلامهم ألصق من الجرب، وأحرق للقلوب من اللهب، ولقد رأيت جماعة من الناس كانوا يلعنونهم، ويسبونهم، فجالسوهم على سبيل الإنكار، والرد عليهم، فما زالت بهم المباشطة وخفي المكر، ودقيق الكفر حتى صبوا إليهم^(٢)..

(١) عقيدة السلف وأصحاب الحديث (ص ٢٩٨-٢٩٩).

(٢) الإبانة: (٢/٤٧٠).

وقال ابن قدامة: كان السلف ينهون عن مجالسة أهل البدع والنظر في كتبهم والاستماع لكلامهم^(١).. وقال البريهاري: وإذا رأيت الرجل جالساً مع رجل من أهل الأهواء فحذره وعرفه، فإن جلس معه بعد ما علم فاتقه؛ فإنه صاحب هوى^(٢).. وقال شيخ الجميع، بل شيخ الإسلام نفسه ابن تيمية: ويجب عقوبة كل من انتسب إليهم أو ذب عنهم، وأنتى عليهم، أو عظم كتبهم، أو عرف بمساعدتهم، أو كره الكلام فيهم، أو أخذ يعتذر لهم.. بل تجب عقوبة كل من عرف حالهم، ولم يعاون على القيام عليهم، فإن القيام على هؤلاء من أعظم الواجبات لأنهم أفسدوا العقول والأديان^(٣).

(١) انظر: الآداب الشرعية لابن مفلح : (٢٣٢/١).

(٢) شرح السنة (ص : ١٢١).

(٣) مجموع الفتاوى (١٣٢/٢).

ابن فرحان .. والقرآنيون

ترك السائق ربيعاً إلى أن انتهى من حديثه، وبعد ذلك أخرج شريطاً من محفظته، وقال: لا بأس ما دمت قد اعتبرت علم الكلام علماً مذموماً، وأنه يتناقض مع القرآن الكريم.. فلدي هنا شريط لعالم يوافقك في بعض ما طرحته.. وهو من البلاد التي تطلقون عليها بلاد التوحيد.. وقد نذر حياته كلها للقرآن الكريم، فأراؤه وأفكاره ومواقفه كلها تتهل من بحار القرآن الكريم العذبة..

قال ربيع: لا بأس.. لكن من هو؟ فليس كل من نذر حياته للقرآن من أهل القرآن.. لا يكون الرجل من أهل القرآن حتى يكون من أهل الحديث.. ولا يكون من أهل الحديث حتى يكون من أتباع السلف.. السلف الصالح هم النظارة التي ننظر بها إلى الدين.. وهم الصراط المستقيم الذي جعله الله لعباده ليعصمهم من الضلالة.

قال السائق: لا بأس.. وإن كنت أختلف معك فيما ذكرت.. لكن هذا الرجل ابن للمدرسة التي تتحدث عنها،

فقد تتلمذ على مشايخها، ولديه علم بالحديث والرواية، بل لديه فوق ذلك قدرة على الجرح والتعديل وتمحيص النصوص، لا الحديثية فقط، بل التاريخية أيضاً.. ولهذا هو يدعو إلى تهذيب التراث وغربلته وإخراج الدخيل عليه.

فرح ربيع، وقال: هذا من نبحت عنه.. هلم به.
أراد السائق أن يضع الشريط، لكن ربيعاً أوقفه، وقال:
انتظر.. أنت لم تذكر اسمه..

قال السائق: لقد ذكرت لك صفاته.. وفيها ما يغني عن ذكر اسمه.. فالحق يعرف بأوصافه لا بأسماء أصحابه.
قال ربيع: لا.. هذا عندكم معشر المبتدعة.. نحن - بقية السلف وحماة الدين - لا نكتفي بالأوصاف، بل ننظر إلى الأسماء وندقق فيها حتى لا يتسرب للدين المبتدعة والضالين الذين يخدعون الناس بأوصافهم.

قال السائق: لا بأس.. إنه حسن بن فرحان المالكي..
وقف ربيع، والزبد يتطاير من فمه، وهو يقول: أوقفه،
أوقف الله أنفاسك.. ما الذي تريد أن تسمعنا؟.. إن هذا
الرجل رأس من رؤوس الضلالة.. ألا تعلم ما ألف

أنصار السنة والسلف حوله من المؤلفات التي تحذر منه..
إنها كثيرة جداً.. منها (الانتصار للصحابه الأخيار في ردِّ
أباطيل حسن المالكي) للعلم العلامة الشيخ عبد المحسن بن
حمد العباد البدر.. ومنها (الرد السديد على مطاعن حسن
المالكي على أئمة الدعوة ومقررات التوحيد) للأثري
السلفي الثقة الشيخ إبراهيم بن عامر الرحيلي.. ومنها
(دحر افتراءات أهل الزيغ والارتياب عن دعوة الإمام
محمد بن عبد الوهاب) لشيخ الجرج والتعديل في هذا
العصر بلا منازع الشيخ ربيع المدخلي.. وغيرها كثير.
قال السائق: أرى أن أصحابك ليس لهم شغل إلا
التأليف في الرد على من يخالفهم.

قال ربيع: صدقت في هذا.. فهم القائمون على حصن
الدين.. وقد آتاهم الله قوة في التأليف، ومدادًا كثيرًا حولوا
منه سهامًا نصبوها لحرب أعداء الله، وكل من ينحرف
عن دين الله وسنة رسول الله.. لقد كتب شيخنا العلامة
محمد ناصر الدين الألباني كتابه (دفاع عن الحديث
النبوي والسيرة في الرد على جهالات الدكتور البوطي)..
وكتب (الرد على أرشد السلفي).. وكتب (الرد على

التعقيب الحثيث).. وكتب (الرد على رسالة الشيخ التويجري في بحوث من صفة الصلاة).. وكتب (الرد على السخاف فيما سوّده على دفع شبه التشبيه).. وكتب (الرد على الشيخ إسماعيل الأنصاري في مسألة الذهب المحلّق).. وكتب (الرد على عز الدين بيلق في منهاجه).. وكتب (الرد على كتاب: تحرير المرأة في عصر الرسالة).. وكتب (الرد على كتاب: ظاهرة الإرجاء).. وكتب (الرد على كتاب المراجعات).. وكتب (الرد على هدية البديع في مسألة القبض بعد الركوع).. وكتب (الرد المفحم على من خالف العلماء وتشدّد وتعصب).. وكتب (كشف النقاب عما في كلمات أبي غدة من الأباطيل والافتراءات).. وكتب (النصيحة بالتحذير من تخريب ابن عبد المنان)

ولا يقل عنه شيخنا الكبير العلامة المحدث بقية السلف الشيخ مقبل بن هادي الوادعي، فقد حول هو الآخر كل ما آتاه الله من مداد سهاً ووجهها لحرب أعداء السنة.. فقد كتب (الطليعة في الرد على غلاة الشيعة).. وكتب (رياض الجنة في الرد على أعداء السنة).. وكتب (إرشاد

ذوي الفطن لإبعاد غلاة الروافض من اليمن) .. وكتب
(الإلحاد الخميني في أرض الحرمين) .. وكتب (ردود أهل
العلم على الطاعنين في حديث السحر) .. وكتب
(المصارعة) .. وكتب (قمع المعاند وزجر الحاقد
الحاسد) .. وكتب (غارة الأشرطة على أهل الجهل
والسفسطة) .. وكتب (تحفة الشباب الرباني في الرد على
الإمام محمد بن علي الشوكاني) .. وكتب (غارة الفصل
على المعتدين على كتب العلل) .. وكتب (إعلان النكير
على أصحاب عيد الغدير) .. وكتب (إقامة البرهان على
ضلال عبد الرحيم الطحان) .. وكتب (فضائح ونصائح) ..
وكتب (البركان لنسف جامعة الإيمان) .. وكتب (إسكات
الكلب العاوي يوسف بن عبد الله القرضاوي) .. وكتب
(صعقة الزلزال لنسف أباطيل أهل الرفض والاعتزال)

ومثلهما كتب شيخنا الكبير العلامة ربيع بن هادي
عمير المدخلي .. فقد كتب ..

قاطع السائق، وهو يقول: لا بأس .. أرانا لن ننتهي لو
عددت لنا كل ما ألفه مشايخك في الردود .. فهل تدعنا
نسمع لابن فرحان بنية الرد عليه .. لا بنية الاستفادة منه.

قال ربيع، والزبد يتطاير من فمه: ويلك ثم ويلك..
أتريد أن تحتال عليّ.. لقد حذرنا أئمتنا من الاستماع إلى
أهل البدع، ولو بنية الرد عليهم..

قال السائق: فكيف يردون عليهم ما داموا يحرمون
الاستماع لهم؟

قال ربيع: للعلماء الأعلام فقط حق الاستماع.. وبعدها
يصدرون مواقفهم وردودهم.. ونروح نحن بما أوتينا من
قوة نتسابق لنشر تلك الردود والتحذيرات.

قال السائق: اصدقني القول.. هل قرأت شيئاً لابن
فرحان، أو سمعت له شيئاً.

قال ربيع: معاذ الله.. ولكني قرأت كل ما كتب عنه،
وسمعت لكل من رد عليه.. وبذلك يمكنني أن أقول: إنني
أعرفه أكثر من الذين استمعوا له..

قال السائق: كيف ذلك؟

قال ربيع: لأن أعلامنا من أهل الجرح والتعديل
يدركون ما لا ندرك.. فقد يكون الكلام صحيحاً ومعسولاً
لكنه يحوي السم الزعاف.. ولذلك لا نقبل شيئاً إلا بعد أن
يمر على مصفاة أهل السنة والحديث..

قال السائق: لكن الشيخ حسن على حسب ما أعلم تتلمذ على بعض المشايخ الذين تثق فيهم.

قال ربيع: أجل علمت ذلك.. وقد أرسل صديقنا الباحث السلفي الأثري سليمان بن صالح الخراشي رسالة إلى الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن السعد، الذي يدعي ابن فرحان أنه تتلمذ على يديه، وقد جاء فيها: (لا يخفى عليكم ما يقوم به المدعو حسن بن فرحان المالكي من نشر لضلالاته بين الحين والآخر؛ ومن ذلك: تهجمه على صحابة رسول الله ﷺ، وعلى عقيدة السلف الصالح، ومحاربتها بما ينشره من مذكرات خبيثة؛ كمذكرته التي طبعها بعنوان (قراءة في كتب العقائد) وقد شحنتها بلمز كثير من علماء السنة الذين ألفوا في العقيدة، بلهجة حانقة لا تصدر إلا عن مبغض شائئ لهم، وكان من آخر مخازي هذا الرجل نشره لمذكرة بعنوان (نقض كشف الشبهات) يحمل فيها هذا المعنوه حملة شعواء على شيخ الإسلام المجدد محمد بن عبد الوهاب، ويلصق به مذهب تكفير المسلمين، ويدافع عن القبوريين.. وقد تواترت لدينا الأخبار - فضيلة الشيخ - أن هذا المبتدع يتبجح في كثير

من مجالسه بأنه كثير المدارس لكم في علم الحديث، والأخذ منكم، بما يوهم السامعين أنكم راضون عن مسلكه الذميمة - والعياذ بالله - تلبسًا منه على بعض طلبة العلم ممن يحسنون الظن بكم.. ونحن نتمنى من فضيلتكم بما عرفناه عنكم من صدق بالحق بيان حقيقة هذا الرجل؛ حتى لا يغتر به أحد ويصدق دعواه، جعلكم الله من أنصار دينه)

وقد رد عليه الشيخ برسالة جاء فيها: (إن حسن بن فرحان المالكي إنسان ضال متبع لهواه، منحرف عما جاء في كتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ، مخالف لما عليه المسلمون.. وقد رددت عليه في مقدمة كتاب (الإبانة لما للصحابة من المنزلة والمكانة) فيما يتعلق بطعنه في الصحابة، وذلك قبل أن يظهر طعنه بالعقيدة الأثرية التي جاءت في الكتاب والسنة.. وقد حضر فيما سبق بعض دروسي وجرى عدة لقاءات بيني وبينه، وذلك قبل أن يظهر كثيرًا من ضلالاته وانحرافات، وكنت أترفق به وأحاول معه؛ حتى يتبع الحق، وقد نصحته ولكن الرجل استمر على انحرافه، بل وزاد في الضلال والغي)

التفت ربيع إلى السائق: ألا ترى كيف تبرأ الشيخ من تلميذه.. ألا يكفيك هذا حتى تتبرأ منه أنت الآخر؟
قال السائق: أنا لا أتبرأ إلا من نفسي الأمانة بالسوء.. أما الخلق فهم لله، وهو أعلم بهم مني.. لكنني لم أسمع إلا تجريحاً مجرداً عن أي بينة.
قال ربيع: هل تريد أن أفصل لك ما ذكره أعلامنا من بينات تدل على ضلاله.. إن ذلك محال.. ولن تكفي جميع أيام الدنيا لذلك؟

قال السائق: ألهذا الحد بلغت جرائمه؟

قال ربيع: أجل.. لقد كتب فضيلة الشيخ حمود بن عقلاء الشيعي جواباً على من سأله عن حال المالكي الذي ننعتة بالهالكي، فقال: (كثرت في عصرنا الحداثيون والعلمانيون والمعتزلة وغيرهم من أصحاب العقائد الفاسدة، الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون، وأخطروهم وأعظمهم أثراً من جمع خليطاً من هذه العقائد الفاسدة والأفكار المنحرفة، لا سيما الطعن في الصحابة، والتدح في أهل السنة وفي كتبهم، والدفاع عن أهل الضلال، وعلى رأس هؤلاء حسن بن فرحان المالكي،

الذي قد تضخمت انحرافاتة، وتعاضم شره)
ألا ترى كيف اعتبره هذه العلم العلامة جامعاً لرذائل
أهل الملل والنحل؟

قال السائق: لقد سمعت حديثه عن الصحابة.. وهو لا
يرقى إلى ما ذكرت.. كل ما في الأمر هو أنه يريد العودة
بالدين إلى صفائه وأصالته.. وقد وجد من قومه من
يريدون نفس ما ورد في القرآن الكريم من معانٍ وقيم
سامية بما ورد عن بعض الصحابة مما يخالفها، فدعاهم
إلى تحكيم عقولهم، والتحقيق فيما نقل عن الصحابة حتى
لا ننسخ المعاني السامية للدين بما فعله الصحابة أو
بعضهم أو فهموه من الدين.. فالصحابه بشر كسائر
الناس، وهم يخطئون كما أنهم يصيبون، ولذلك يحتاج من
يريد أن يعود بالدين إلى صفائه أن يميز بين ما أخطأوا
فيه وما أصابوا.. وليس في ذلك أي حرج.

لقد سمعته يروي عن الصحابة أنفسهم ما يؤيد هذا
المعنى، لقد نقل عن أنس بن مالك قوله: (ما أعرف شيئاً
مما كان على عهد النبي ﷺ! قيل الصلاة؟ قال ليس

ضِيَعْتُمْ مَا ضِيَعْتُمْ فِيهَا؟^(١).

بالإضافة إلى هذا، فقد كان التابعون أحياناً يخلطون في رواياتهم عن الصحابة، فعن بسر بن سعيد، قال: اتقوا الله، وتحفظوا من الحديث، فوالله لقد رأيتنا نجالس أبا هريرة، فيحدث عن رسول الله، ويحدثنا عن كعب، ثم يقوم؛ فأسمع بعض من كان معنا يجعل حديث رسول الله عن كعب ويجعل حديث كعب عن رسول الله^(٢).

ولهذا، فإنه يدعو إلى إنقاذ الإسلام من كل التأثيرات السلبية التي دخلت إليه من اليهود أو النصارى أو غيرهم من أهل الملل، والتي أشار إليها صلى الله عليه وآله في قوله: (لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً شبراً وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم). قلنا: يا رسول الله لليهود والنصارى؟ قال: (فمن؟)^(٣).

وقد وضع لذلك ضابطاً مهماً، وهو عرض ما ورد في الروايات على القرآن الكريم، فما وافقه قبل، وما خالفه

(١) رواه البخاري.

(٢) سير أعلام النبلاء - [ج ٢ / ٦٠٦].

(٣) رواه البخاري ومسلم.

رفض، وقد ورد في ذلك حديث شريف، فقد قال صلى الله عليه وآله:
(ستكون عليّ رواة يروون الحديث، فأعرضوا القرآن،
فإن وافقت القرآن فخذوها وإلا فدعوها)^(١).

انتفض ربيع غاضباً، وقال: هذا الحديث غير صحيح،
وكل ما ورد في هذا الموضوع أحاديث مناكير وبواطيل،
قد طعن فيها غير واحد من الأئمة كالشافعي وغيره.. بل
قال يحيى بن معين عنه: هذا حديث وضعته الزنادقة..
وسئل مرة: ما تقول في الحديث الذي يروى عن النبي
صلى الله عليه وآله: (ما حدثتكم من حديث فاعرضوه على القرآن، فما
وافق القرآن فخذوه، وما عارضه فردوه؟) فقال ابن
معين: لقد عرضناه على القرآن فوجدناه كذباً، فقليل:
كيف؟ قال: لأن الله عز وجل يقول: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ
فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾.

قال السائق: أنت لم تفهم مراد الحديث.. فهو لا يقصد
أن النبي صلى الله عليه وآله ليس مستقلاً بعرض الحقائق أو بيان
شرائع الدين، وإنما يقصد أنه في حال تعارض الحديث

(١) تاريخ دمشق لابن عساکر، وهو متواتر في كتب الشيعة.

مع القرآن الكريم نقدم القرآن باعتباره متواتراً، بخلاف الحديث الذي دخله الوضاعون والكذابون وغيرهم.. وإلا فإن رسول الله ﷺ أعظم من أن يخالف ربه، أو كلام ربه.

قال ربيع: ويل لك.. ما أجراك على أهل الحديث.. هل تعلم مرتبة ابن معين حتى تعقب عليه.. لقد قال فيه.. قاطعه السائق، وقال: أعلم ما قيل فيه، وأنا أحترمه وأقدره، ولكن القرآن الكريم أعظم حرمة عندنا من ابن معين وغيره.. اسمع إليه وهو يدعونا إلى التحاكم إلى كتاب الله في حال الخلاف، قال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣]، وأنكر على المعرضين عن ذلك المنهج، فقال: ﴿لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحاً مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مَّعْرُضُونَ﴾ (آل عمران: ٢٣).

قال ربيع: إن جرأته على هذا هي التي جعلته يتجرأ بعد ذلك على الجميع ابتداء من الصحابة الذين أخرج

أكثرهم من الصحبة، بحجة أن القرآن الكريم ذكر المهاجرين والأنصار ولم يذكر الصحابة.. حتى أنه أخرج خال المؤمنين وكاتب وحي رب العالمين من الصحبة، وتكلم فيه كلامًا شديدًا قاسيًا..

ولم يكتف المجرم بذلك بل ذكر أن العلماء شككوا في إسلام أبي سفيان.. وذكر أن أبا هريرة يروي عن كعب الأبحار بعض الإسرائيليات فيرويهما الناس عنه ظنًا منهم أنها أحاديث عن النبي ﷺ، وقال عن أبي هريرة: إنه يهم وينسى في التحديث، وذكر عن عبد الله بن عمرو أنه ظفر بزاملتين يوم اليرموك فهو يحدث منهما فيظن الناس أنه يحدث عن الرسول ﷺ..

بل فوق ذلك هو معطل جهمي معتزلي ينكر إثبات بعض الصفات التي وردت في السنة، ويزعم أن فيها تشبيهًا وتجسيمًا.. ويرى أن أهل السنة يثبتون بعض الصفات لله التي أخذوها من التلمود، ويتهم الحنابلة بأنهم منفقون مع العامة بالتجسيم والتشبيه.

وهو فوق ذلك كله يندن في كتبه على أن عقيدة أهل السنة صنعها الصراع السياسي، وأنها تشكلت حسب

الصراع، وليس بناء على الأدلة الشرعية أو اتباع الرسول ﷺ أو الصحابة، ثم رمى الأمة بأنها أحدثت في العقيدة أمورًا ما أنزل الله بها من سلطان وذلك بأسباب الصراعات السياسية كالقول بعدم خلق القرآن أو تشبيهه الله بخلقه بإثبات صفات له كصفات البشر.

وفوق ذلك كله تراه كثير اللمز لأئمة أهل السنة، فقد ذكر أن ابن تيمية هو الذي أحيا عقيدة النصب بعد أن كادت تنتهي في بداية القرن الثامن.. وذكر أن ابن كثير ناصبي متأثر بأهل بلده، ومثله الذهبي.. واعتبر البربهاري صاحب إرهاب فكري على خصومه.. وأن عبد الله بن الإمام أحمد يروي الخزعبلات والموضوعات والإسرائيليات.

وفوق ذلك فهو يتهم الأمة بأنها لم تقا تل لأجل الدين، بل كانت تقا تل لأجل الدنيا، بل قال: (أنا لا أعد الفتوحات الإسلامية إلا في عهد الخلفاء الراشدين، أما العهد الأموي فغالبًا أسميه استعمارًا أمويًا)

وقد ختم كل هذه المنكرات بنقد الإمام المجدد الذي استطاع - بتوفيق الله ثم بما أعطاه الله من علم وحكمة

وإخلاص لربه - أن يغير حالة الجزيرة العربية وما حولها من البلدان من كونها تعيش في جاهلية جهلاء تغلب عليها الوثنية من عبادة الأصنام والأوثان والقبور والأشجار إلى جعلها مركزاً ومقرّاً للتوحيد الخالص، ألا وهو الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب، محيي السنة وقامع البدعة، حيث تناول كشف الشبهات الذي يعتبر من أنفس ما كتب في توحيد الإلهية والرد على المشركين وكسر شبههم، فتناول المالكي هذا الكتاب الجليل بالرد الذي سماه نقض كشف الشبهات.

وبناء على كل هذه الجرائم التي ارتكبتها، فقد قرر مشايخه حرمانه من لقب (أهل السنة) ليدخل في ألقاب أهل البدعة، بل حرمانه حتى من اسم قبيلته بني مالك، فصرنا نناديه (الهالكي).

وقد دعونا إلى مباهلة علنية، فرفض، وهذا ما يدل على كذبه وضلاله وبهتانه.. فليس بيننا وبين المبتدعة سوى المباهلة.

قال السائق: لعله رفض المباهلة لأجل نصها.. فما كان نصها؟

قال ربيع: باهلهنا على أن (من كان في قلبه خبيئة
على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ فأهلكه الله.. ومن
كان في قلبه دخن على شيخ الإسلام ابن تيمية فأهلكه
الله.. ومن كان في قلبه غل على العقيدة السلفية فأهلكه
الله.. ومن كان في قلبه غش على منهج السلف الصالح
فأهلكه الله).

فضل الله.. والحواريون

لم يجد السائق بعد أن قرأ ربيع نص المباهلة سوى أن ابتسم ابتسامة ساخرة، ثم قال: لا بأس.. لن أفرض عليك أن تستمع شيئاً يخالف معتقدك.. ولكن بما أنك ذكرت أن هناك من كتب كتاباً في مناقشة حسن بن فرحان سماه (حوار مع المالكي)، فقد ذكرني ذلك بشريط يتحدث عن ضوابط الحوار في القرآن الكريم وآدابه.. وهو مفيد جداً لأن للحوار آدابه الشرعية التي تجعله يؤتي ثماره لا محالة.

قال ربيع: من صاحب الشريط؟

قال السائق: دعنا من هذا.. لأن الأسماء تجعلنا نختلف.. فلنأكل المبقلة، ودعنا من اسم البقال.. ولنأكل اللحم، ودعنا من اسم الجزائر.

قال ربيع: ويملك.. وما أدراني، فقد يكون الجزائر مجوسياً أو مشركاً.. أتريدني أن أكل اللحم الحرام.

قال السائق: المتحدث رجل ملئ إيماناً وعلماً ووقاراً وأدباً وحباً للوحدة الإسلامية وحرصاً عليها.. وهو ينطلق

في كل ما ذكرت من القرآن الكريم.. وقد كتب في ذلك
كتاباً حول (الحوار في القرآن الكريم)
قال ربيع: لم يكتب هذا الكتاب إلا رجل ملئ ضلالة
وجهاً وبغياً..
قال السائق: لا نقل هذا.. لعل شخصاً آخر كتب بنفس
العنوان.

قال ربيع: أتقصد الهالك محمد حسين فضل الله؟
قال السائق: أجل يا بني أنا أقصده.. ولكنه ليس كما
وصفت، فقد كان رجلاً صالحاً، بل كان رائد الوحدة
والحوار.. لا يضيق صدره بأي مخالف له، بل يجلس
معه، ويحادثه بكل لطف وأدب.. لقد دعا إلى إذابة الجليد
بين المتناحرين المتقاتلين ليحل اللسان بدل السنان،
والحجة بدل الدبابة، والبرهان بدل الدماء التي تسيل من
كل جانب.. لقد سمعته يصرخ في كل ناد: (إن الله علمنا
أن نحاور كل الناس، ولا توجد مقدسات في الحوار، فقد
حاور الله تعالى إبليس، فهل هناك من الناس من هو مثل
إبليس؟ كما أن القرآن هو كتاب حوار مع المشركين في
توحيد الله، ومع الكافرين في وجود الله وفي نبوة النبي،

كما حاور المنافقين، لذلك نعتبر أن عظمة القرآن في أنه كتاب الحوار المقدس الذي يقول لك إن مسألة أن تؤمن هي أن تفكر وتقتنع، وبالتالي أن تحاور.. (١).

قال ربيع: هذا دين المبتدعة في كل عصر.. إنهم يدعون إلى الحوار لينفذوا بشبههم إلى عقائدنا المصونة.. عقائد أهل السنة والسلف الصالح.. لقد حذرنا السلف من الحوار مع المبتدعة أو الجلوس إليهم حتى لا تسري إلينا سمومهم.. لقد قال الإمام اللالكائي مبيناً خطر مناظرة أهل البدع، وما تؤدي إليه: (فما جنى على المسلمين جناية أعظم من مناظرة المبتدعة، ولم يكن لهم قهر ولا ذل أعظم مما تركهم السلف على تلك الجماعة يموتون من الغيظ، كمداً ودرءاً، ولا يجدون إلى إظهار بدعتهم سبيلاً) (٢).

وقال أبو إسماعيل الصابوني عن أهل السنة: ويغضون أهل البدع الذين أحدثوا في الدين ما ليس منه،

(١) حوارات في الفكر والسياسة والإجماع ص ٢٤٨.

(٢) هذا النص وما يليه من النصوص من كتاب (مناظرة أهل البدع دراسة منهجية وروية تأصيلية) للشيخ سليم الهلالي.

ولا يحبونهم، ولا يصحبونهم، ولا يجالسونهم، ولا يجادلونهم في الدين، ولا يناظرونهم، ويرون صون أذانهم عن سماع أباطيلهم التي إذا مرت بالآذان وقرت في القلوب ضرت وجرت إليها من الوسوس والخطرات الفاسدة ما جرت.

وقال أبو المظفر السمعاني: واعلم أنك متى تدبرت سيرة الصحابة ومن بعدهم من السلف الصالح، وجدتهم يnehون عن جدال أهل البدعة بأبلغ النهي.

وقال البربهاري: وإذا أردت الاستقامة على الحق وطريق أهل السنة قبلك، فأحذر الكلام وأصحاب الكلام، والجدال والمرء والقياس والمناظرة في الدين، فإن استماعك منهم - وإن لم تقبل منهم - يقدر الشك في القلب.

وقال الآجري بعد كلامه على هجر أهل البدع: فإن قلت: فلم لا أنظره وأجاده وأرد عليه قوله؟ قيل له: لا يؤمن عليك أن تناظره وتسمع منه كلامًا يفسد عليك قلبك، ويخدعك بباطله الذي زين له الشيطان، فتهلك أنت.

وقال ربيع بن هادي المدخلي..

قاطعہ السائق، وقال: ولكن الله تعالى ذكر عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أنهم حاوروا أقوامهم، وذكر عن أتباع الأنبياء أنهم كانوا يحاورون بهدوء وأدب المخالفين لهم.. ولعلك قرأت سورة الكهف، وقرأت فيها حوار الصاحبين.. ولعلك قرأت سورة يس، وقرأت فيها حوار المؤمن مع أهل قريته.. ولعلك قرأت سورة غافر، وقرأت فيها حوار الذي يكتم إيمانه.

قال ربيع: أنت أفقه أم سلفنا الصالح الذي خبروا القرآن وأحاطوا بمعانيه.. نحن لا نفهم القرآن إلا بمرآة السلف.. فهم أظهر الناس قلوبًا، وأكثرهم عقلاً، وأكثرهم تدينًا.

قال السائق: ولكن القرآن الكريم ذكر عن الأنبياء وأتباعهم ما ذكرت لك.

قال ربيع: تلك شرائع من قبلنا.. ونحن لسنا ملزمين بها.

قال السائق: ولكن الله تعالى قال: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ

وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿العنكبوت: ٤٦﴾ أليس في هذا دعوة للحوار مع المخالفين.. بل علمنا الله كيف نبحت عن المشتركات لننتقل منها لعلاج المختلف فيه.

قال ربيع: ويملك.. أنت مثل الذي قال عنه صلى الله عليه وآله: (أخوف ما أخاف على أمتي منافق عليم اللسان يجادل بالقرآن).. ألا تعلم أن القرآن حمال وجوه.. ولا يقينا من سوء الفهم له إلا سلفنا الصالح.

قال السائق: ولكني قرأت أن سلفك الصالح كانوا يناظرون المخالفين.. وقد ذكرت لي بعض ذلك سابقاً.. فالإمام أحمد ناظر الجهمية.. كما ناظر عثمان بن سعيد الدارمي بشرًا المريسي..

قال ربيع: وهل يوجد في الدنيا أحد يشبه الإمام أحمد حتى يحل له أن يناظر أو يحاور.. ألا تعلم أن النساء عقت أن تلد مثله.. أم تحسب أن هذا الصعلوك الدعي الروبيضة يريد أن ينزل نفسه منزلة ابن حنبل ذلك الذي هابه كل شيء حتى العفاريت والمردة.

حسّون.. والإنسانيون

لم يجد السائق إلا أن يأخذ شريطاً آخر من محفظته، ثم يقول: لا بأس.. لا ألزمك بشيء لم يلزمك الله إياه.. لدي بحمد الله الكثير من الأشرطة، وقد نوعتها حتى تتناسب مع أصناف الناس، فالله خلق خلقه مختلفين، ولا يصح أن نلزمهم بما يخالف طباعهم.. لقد ذكر القرآن الكريم هذه الحقيقة كثيراً، ولا أظنك تخالفني فيها.

قال ربيع: أجل.. وقد ورد في السنة كذلك ما يدل عليها، ففي الحديث الشريف قال صلى الله عليه وآله: (تجدون الناس معادن، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا)^(١).

قال السائق: هذه بداية جيدة قد تجعلنا نتفق على صاحب هذا الشريط؛ لأنه في كل أحاديثه وخطبه يركز على احترام التنوع والاختلاف، وألا نلزم الخلق ما لم يلزمهم الله به.

قال ربيع: أشم من هذا الكلام رائحة مبتدع خبيث

(١) رواه البخاري ومسلم.

هالك.. فهم الذين يسربون بدعهم بدعوى التقارب
والتعايش واحترام الاختلاف.

قال السائق: لا تخف.. فهو ليس كالسابق.. هو سني
التوجه.. شافعي المذهب.. بل هو مفت للسنة.

قال ربيع: وهل تحسب أن كل الشوافع سنة.. أكثر
الشوافع عندنا - أصحاب منهج السلف - مبتدعة، لأنهم
تركوا مذهب الإمام أحمد في الاعتقاد، وراحوا إلى
الأشاعرة مخانيث المعتزلة لينصروا عقائدهم.. جد لي
شافعيًا واحدًا كان على مذهب أهل السنة.

قال السائق: عجيب ما تقول.. أليس الشوافع من أهل
السنة؟

قال ربيع: هم سنة في الفقه.. ولكن أكثرهم ليس سنة
في العقيدة.. أكثرهم أشاعرة.. وأنت تعرف ما قال سلفنا
الصالح في الأشاعرة والماتريديّة والمعتزلة وغيرهم من
المعتلة منكري الصفات الذين يعبدون الوهم.. وقد شأن
متأخروهم المذهب الشافعي بالتصوف.. فخرجوا من
زمرة المبتدعة إلى زمر الكفرة والحلوية والقبورية..
فقلما تجد شافعيًا إلا قبوريًا.. والقبوري مشرك دمه حلال،

وذبيحته حرام.

قال السائق: ونحن أهل المغرب الذين وجدنا آباءنا على المذهب المالكي.. فنحن على آثارهم مقتدون.
قال ربيع: مالك من أئمة السنة والسلف.. ولكن المالكية، وخصوصاً المتأخرين شأنوا المذهب، وحصل لأكثرهم من البدعة والشرك والخروج من الملة ما حصل للشافعية.

قال السائق: والحنفية.. هل هم من أهل السنة؟
قال ربيع: هناك فرق كبير بين الشافعية والمالكية والحنفية.. الشافعية والمالكية أصولهم صحيحة، والانحراف دب إليهم بعد ذلك.. لكن الحنفية منحرفون أصولاً وفروعاً.. ألا تعلم ما قال أئمتنا في أبي حنيفة؟
قال السائق: أجل.. أعلم ذلك.. لقد استنتب من الكفر مرتين، وأن سفيان الثوري قال فيه: (غير ثقة ولا مأمون استنتب مرتين)

قال ربيع: أحسنت.. والآن هلم أخبرنا من هو الشخص الذي تريد أن نسمعنا إياه.
قال السائق: ما دام كل هؤلاء لم تستسغهم، فلا أظن

أنك ستستسيغ هذا، فهو منفتح على العالم لدرجة لا يمكن
لطبعك أن يتقبلها.

قال ربيع: أنت تمدحني أم تسبني؟

قال السائق: أنا أصفك فقط.. والواصف ليس مادحاً،
وليس ذامماً.

قال ربيع: وما أدراك بي.. هل اطلعت على سريرتي،
أم تدعي أنك تعلم بواطن الناس، وما تبلي السرائر.
قال السائق: لا هذا ولا ذلك.. ولكني من خلال
أحاديثك معي عرفت طبعك.

قال ربيع: ويل لجرأتك على ربك.. كيف تحكم عليّ
من خلال بعض الأحاديث التي تحدثت بها إليك.. ماذا
تقول لربك إن سألك عن جرأتك على خلقه.. بم تجيبه؟
قال السائق: لا بأس.. أرجو أن أكون مخطئاً في
تقديري حتى ننشرف بالاستماع إلى هذا العالم الجليل
الذي وسع الله صدره وقلبه وعقله ليستوعب من الحقائق
ما ضاق به الآخرون.

قال ربيع: من هذا الذي تكيل له كل هذا المديح.. ألا
تعلم أن مدح المنافق أو الكافر كفر ونفاق؟

قال السائق: أنا أمدحه بما علمته منه، فقد كان خير
سفير للإسلام.. استطاع بمفرده أن يخلص الكثير من
العقدة التي وقع فيها اليهود عقدة (شعب الله المختار)..
هو يدعو إلى التواضع واحترام الآخر مهما كان دينه
ومذهبه ولغته ولونه..

قام ربيع غاضبًا، وهو يصيح: لا تقل بأن الذي تريد
أن تسمعنا إياه هو ذلك الهالك الأبق الظالم لنفسه حسون..
ويل له.. كم تمنينا لو أن تلك الرصاصة التي نفذت إلى
صدر ابنه سارية نفذت إلى صدره.. لكانت البلاد والعباد
ارتاحت من ضلالاته كما ارتاحت من البوطي.. ولكن مع
ذلك فقد فرحنا كثيرًا بقتل ابنه.. لقد شفى الله غيظنا..
وملأ قلوبنا فرحًا وسرورًا.

قال السائق: ألا تعتبر - يا بني - هذا حقًا؟

قال ربيع: ويل لك.. ثم ويل لك.. من لم يفرح بآلام
المبتدعة لم يذق طعم السنة.. هذا من مقتضيات الولاء
والبراء.. فمحب السنة يلزمه أن يملأ قلبه حقًا على
المبتدعة.

قال السائق: أتعبر الحقد دينًا؟

قال ربيع: أنت تسميه حقًا.. وأنا أسميه براءة من أعداء الله.. الخلاف بيننا في التسميات.

قال السائق: لكن كيف طابت لكم نفوسكم أن تفجعوه في ولده؟

قال ربيع: لقد أفتى كل العلماء - حتى الذين نختلف معهم في بعض المسائل الفرعية كالقرضاي أعضاء الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين - بأن كل موال للنظام السوري حلال الدم.. وقد نفذ شقنا المسلح هذه الفتوى.

ومع ذلك فلم نكتف بذلك.. لقد قال كلمات كثيرة جعلتنا نبیح دمه بغض النظر عن موقفه السياسي، لقد قال في بعض محاضراته: (أنا مسلم في عقيدتي، وعالمي في إنسانيتي.. أنا أبحث عن هذا المسلم وأحاول أن أصيغ هذا المسلم العالمي)، وهذه الكلمة كافية لإباحة دمه.. إنه يدعو إلى وحدة الأديان.

قال السائق: بل هو يدعو إلى تعايش الأديان.

قال ربيع: ومن قال لك بأن الإسلام يدعو إلى التعايش مع الآخر.. لقد جاء رسول الله ﷺ بالسيف بين يدي الساعة.. لقد نصر ديننا بالرعب.. لا ينبغي لكافر أن

يعيش بيننا معافى سليماً.. لا ينبغي أن تأمن أمة من الناس ما دامت تعبد الأصنام حتى لو زعمت أنها من المسلمين. إن هذا الرجل المجنون يريد أن يستأصل كل القيم التي دعا إليها السلف.. تصور أنه يريد أن يستأصل الفرق بين السنة والشيعة.. لقد قال في بعض تصريحاته: (كل سني هو شيعي في ولاءه، وكل شيعي هو سني في اقتدائه، وبدون التكامل بين الاثنين لن يكمل إسلام أحدهما)

إن هذا الرجل المجنون يريد أن يقضي على مذهب السلف من جذوره، فإن اتفق السنة والشيعة.. واتفق أهل الحديث والمتكلمون.. واتفق السلف مع الصوفية.. فما هي وظيفتنا بعد ذلك.. وممن نحذر؟.. وعلى من نحقد؟

جودت .. والأعنف

أخرج السائق شريطاً آخر من محفظته، وقال: لقد عرفت مشكلتك يا بني.. ولدي في هذا الشريط حلها.. فلو أنك صبرت قليلاً، وألقيت سمعك إليه فترة قصيرة، فستجد نفسك شخصاً آخر تماماً.. ستصل إلى تحقيق كل مآربك من غير أن تتكلف لا حقداً ولا عنثاً.

قال ربيع: أنا ليس لدي مشكلة.. المشكلة فيكم أنتم.. أنتم الذين تركتم السنة والسلف، ورحتم تزامونهما بأرائكم وأفكاركم ورجالكم.. وكأنكم لا تعلمون بأن الدين اكتمل في القرون الثلاثة الأولى، وأن كل متحدث فيه بعد ذلك من غير نقل عن السلف دعي ودجال وكذاب.

قال السائق: لا تخف.. فهذا الرجل ينقل من القرآن الكريم مباشرة.. وله فيه فهم عجيبة ترقى بالإنسان والمجتمع إلى أرقى سبل الحضارة.

قال ربيع: ما هذه الكلمة البدعية الغريبة.. كيف ينقل من القرآن مباشرة؟.. وكيف يحل له أن يصل إلى معاني القرآن دون أن يمر على البغوي وابن عطية وابن جرير

وابن تيمية وابن كثير والسعدي؟.. لا يحل لأحد أن يفهم في القرآن معنى لم يشر إليه هؤلاء وغيرهم ممن جعلهم الله حماة لكتابه من تسلل المبتدعة.

قال السائق: هو يثق في كثير من هؤلاء، ويستفيد منهم، لكنه لا يكتفي بهم.

قال ربيع: من لم يكفه السلف، فلا كفاه الله.. ومن ظن أن هناك علماء لم يتحدث عنه السلف أو يشيروا إليه، فهو وحمار بيته سواء.

قال السائق: دعنا يا بني نسمع هذا الشريط.. فإن فيه كلاماً جميلاً عجباً عن السلام.. إنه بعنوان (مذهب ابن آدم الأول)

ثار ربيع غاضباً، وهو يقول: عرفت الرجل.. إنه ذلك الدعي الدجال الذي يريد أن يقوض صرح الجهاد الذي جاء به الدين، والذي لا يقوم الدين إلا عليه.. إنه ذلك الأفك الأثيم الذي يريد أن يهدم للتاريخ الإسلام المشرق المملوء بالأمجاد.. إنه ذلك الشيخ الخرف الذي لم يقنعه السلف ولا الخلف، فراح يتجاسر على القرآن يفسره بهواه.. ويل لك ما الذي تريد أن تسمعنا إياه.

قال السائق: تمهل يا بني.. فلا يحل لك أن تنهش
عرض الرجل بهذه البساطة..

قال ربيع: وهل له عرض حتى أنهشه؟

قال السائق: لا نقل هذا يا بني.. فالرجل يعتمد في
دعوته على القرآن الكريم.. فهو يستند إلى القصة التي
قصها القرآن الكريم علينا عن ابني آدم، وكيف أنثى الله
على المسالم منهما، والذي قال لأخيه: ﴿لَنْ بَسَطَ إِلَيَّ
يَدَكَ لَتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدَيَّ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ
رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ (المائدة: ٢٨)، ومثله قال نوح عليه
السلام: ﴿وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ
كَبِيرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذَكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ
فَاجْمَعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ
أَقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾ (يونس: ٧١).

وقد لاحظ من خلال دراسته للتاريخ الإسلامي امتلاءه
بالدماء والمآسي.. ولاحظ من خلال دراسة حركة الدعوة
الإسلامية ميلها إلى العنف والشدة.. ولاحظ من خلال
دراسة الواقع الاجتماعي والسياسي للأمة تحوله إلى واقع
مشحون بكل أصناف العنف.. فراح يدعو إلى السلام

الذي جاء به القرآن الكريم، ودعا له الأنبياء.
قال ربيع: ويل للرجل.. أي ضلالة أوقع نفسه فيها..
ألا يعلم أن القرآن حمال وجوه، فكيف يستدل به؟
قال السائق: لقد ساق نصوصاً من السنة تؤيد دعواه..
فقد ورد في الحديث: (إن بين يدي الساعة فتناً كقطع الليل
المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي
مؤمناً ويصبح كافراً؛ القاعد فيها خير من القائم، والماشي
فيها خير من الساعي، فاكسروا قسيكم، واقطعوا أوتاركم،
واضربوا سيوفكم بالحجارة، فإن دُخِلَ - يعني على أحد
منكم - فليكن كخير ابني آدم)^(١).

قال ربيع: إن هذا الرجل من الذين يريدون أن
يقوضوا بنيان الدين من خلال بعض النصوص التي
يسيء فهمها؛ لأنه لم يرجع فيها للسلف.

إنه يريد من مقولته تلك أن يهدم الجهاد الذي جاء به
الدين.. لقد حصلت مناظرة بينه وبين رجل منا على
شاشة قناة الجزيرة.. فمسح به الأرض، وجعله أثراً بعد

(١) رواه مسلم.

عين.

لقد قام بطلنا (نادر التميمي) في تلك الجلسة بقوة وفصاحة وبلاغة، وقال: (الحمد لله الذي أعزنا بالجهاد وجعله ذروة سنام الإسلام.. الحمد لله الذي أذلنا بالعودة عنه.. الحمد لله الذي فتح بلادنا في الشام وفي العراق وفي شمال أفريقيا وفي مصر حتى الأندلس بالجهاد..)، ثم استمر في حديثه يبين فضائل الجهاد، وأنه الحل الأمثل لكل مشاكلنا.. حتى أن معد الحلقة لم يستطع أن يوقفه.. وكان ذلك اليوم يوماً من أيام الله التي نصر فيها جنده^(١). قال السائق: لقد تابعت الحلقة.. ولكني كنت أميل فيها إلى جودت سعيد.. فقد كان هادئاً مسالماً يطرح آراءه بكل أدب وهدوء..

قال ربيع: بل بكل ضعف وخور.. إن ديننا دين قوة وعزة.. وقد مثلها نادر التميمي أحسن تمثيل.. لقد أعاد لنا سير أبطالنا الكبار الذين نفخر بهم.

(١) انظر موقع قناة الجزيرة على الرابط التالي:

<http://www.aljazeera.net/programs/opposite-direction/٢٦/٨/٢٠١٠/>.

قال السائق: تمهل يا بني.. فالرجل لا يريد أن يهدم الجهاد.. فالجهاد قيمة من قيم هذا الدين.. بل هو قيمة من القيم الإنسانية الرفيعة .. إنه يريد أن يصحح مفهومه فقط.. لقد صار (الجهاد) عند بعض من لا يفقهون الدين وسيلة للتوسع والظلم والاستبداد.. وقد حصل بسبب ذلك الكثير من المآسي.. فلذلك دعا إلى التفريق بين جهاد المسلم المشروع، وجهاد الخوارج الممنوع؟

قال ربيع: الجهاد هو الجهاد.. والخوارج فرقة اندثرت، ولم يبق منهم إلا فلول، سيأتي اليوم الذي نقضي عليهم فيها.

قال السائق: الخوارج الذين حذر منهم رسول الله ﷺ أخطر من أن تمثلهم طائفة من الطوائف.. إنهم كل من استعمل سلاح العنف الذي يسميه (جهاداً) في غير محله.

ضحك ربيع بسخرية: وما محله أيها النكرة الروبيضة؟

قال السائق: له محلان ذكرهما القرآن الكريم، وطبقهما رسول الله ﷺ خير تطبيق.

أما الأول، فقد نص عليه قوله تعالى: ﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ (الحج: ٣٩، ٤٠)، وقد طبقه رسول الله ﷺ في أكثر الحروب التي فرضت عليه ابتداء من بدر وانتهاء بحنين.. فما خرج رسول الله ﷺ إلا ليحمي المسلمين من أذى المعتدين.

وأما الثاني، فقد نص عليه قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ (النساء: ٧٥)، وهو الخروج لنصرة المستضعفين في الأرض، لا لإكراههم في الدين، أو لجباية أموالهم، وسبي نسائهم وأطفالهم، والتوسع في أراضيهم.

قال ربيع: وأين الجهاد لإعلاء كلمة الله، ونشر دين الإسلام؟

قال السائق: إن القرآن الكريم حصر الدعوة إلى الدين في هذه المحال الثلاث: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (النحل: ١٢٥)، وإن كان للجهاد مجال هنا، فهو الجهاد بالقرآن، كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ (الفرقان: ٥٢).

قال ربيع: أتريد أن تذكر بأن كل الفتوحات التي حصلت في التاريخ الإسلامي كانت منحرفة عن القرآن الكريم؟

قال السائق: لا أقول ذلك.. ولا يقول صاحبي جودت ذلك.. وإنما ننظر إليها من زاوية الشروط القرآنية، فإن توفرت فيها الشروط الشرعية كانت جهادًا وفتحًا، وإن لم تتوفر كانت غزواً واستعماراً وعدواناً.

قال ربيع: ويحك يا رجل.. أتريد أن تخرج من الملة؟
قال السائق: لم أكن أحسب أن الموقف من التاريخ يخرج من الملة.. لقد علمنا قرآناً ونبينا أن نقف مع الحق

مهما كان، ولا تأخذنا في الله لومة لائم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة: ٨)، ولذلك إن فعل حكام المسلمين ما فعله المفسدون في

الأرض، فلن أنزه المسلمين، بل سأقف مع المظلوم.

قال ربيع: إن هذا يخالف عقيدة الولاء والبراء.

قال السائق: لقد علمنا الله القيم التي نوالي من والاه، ونتبرأ ممن تبرأ منها.. وأول هذه القيم العدالة.. فنحن مع العدالة ضد الظلم.. وأول ظلم نقف في وجهه هو الظلم الذي يرتكب باسم الله، وباسم دين الله ليشوّهه، ويقف حجاباً بين الخلق وربهم.

قال ربيع: هذا دين الضعفاء والقاعدين لا دين رب العالمين.

قال السائق: لقد مكث رسول الله ﷺ ثلاث عشرة سنة في مكة، ولم يحمل سلاحاً، ولم يواجه المعتدين عليه، فهل كان في ذلك الحين على غير دين الإسلام؟

وقد روي أن بعض الصحابة أتوه في ذلك الحين، فقالوا: يا نبي الله، كنا في عزة ونحن مشركون، فلما آمنّا صرنا أدلة، فقال ﷺ: (إني أمرت بالعفو فلا تقاتلوا القوم)، وقد أشار الله تعالى إلى ذلك، فقال: ﴿لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظَلِّمُونَ فَتِيلًا﴾ (النساء: ٧٧).

قال ربيع: ولكن كل ذلك نسخ.. كان ذلك مخصوصاً بمكة حيث كانوا مأمورين بالصفح والعفو عن المشركين والصبر إلى حين، وكانوا يتحرّقون ويودون لو أمروا بالقتال ليشنقوا من أعدائهم، ولم يكن الحال إذ ذلك مناسباً لأسباب كثيرة.. فلما ذهبوا إلى المدينة، ومكن الله للمؤمنين وشرع الجهاد، ونزلت آية السيف نسخت كل آيات الصفح والحلم والعفو.. فكل آية تأمر بالعفو والصفح والحلم هي من الآيات التي بقي رسمها ونسخ حكمها.

قال السائق: ما دام حكمها قد رفع، فما الحاجة لبقائها
في المصحف.. ألا ترى أن في ذلك فتنة للقارئ، حيث
يقرؤون شيئاً، وينهون عن تطبيقه؟

انتفض ربيع غاضباً، وهو يقول: لا شك أنك رافضي
تقول بتحريف القرآن^(١).. لزوال الدنيا أهون عند الله من
رفع حرف واحد من المصحف الشريف.. إنه كلام الله
الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ
مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (فصلت: ٤٢).

قال السائق: مهلاً يا بني.. ليس هناك مسلم في
الأرض يقول بتحريف ألفاظ القرآن.. فالمصحف واحد..
ولكن ما تقوله أنت الآن هو أعظم تحريف للقرآن..
قال ربيع: أنا لم أقل سوى بأن في القرآن ناسخاً

(١) للأسف نجد الاتجاه السلفي يردد دائماً من غير بينة ولا بحث ولا
تحقيق هذه الشبهة الخطيرة التي لا تمس الشيعة فقط، بل تمس القرآن
الكريم بالدرجة الأولى؛ لأنها تشعر أن هناك خلافاً في ثبوته مثل الخلاف
الواقع بين الكاثوليك والبروتستنت حول نسخ الكتاب المقدس.. وقد رددنا
على هذه الشبهة بتفصيل في كتاب (الكلمات المقدسة)، وهو مطبوع بدار
العواصم بالقاهرة، و مترجم إلى الإنجليزية.

ومنسوخاً.. وأن الآية الواحدة من القرآن قد تنسخ الآيات
الكثيرة.. وقد ابتلانا الله تعالى بهذا حتى نعود لسلف الأمة
ليفرقوا لنا بين الناسخ والمنسوخ.. وهذا ما جعلنا لا نكتفي
بكتاب الله، ولا بسنة رسول الله ﷺ، بل نشترط مع
ذلك فهم السلف الصالح، فهم أعدل الناس وأحكمهم
وأعلمهم بدين الله..

لقد كان هذا أول درس لي تعلمته من مشايخي الكبار..
لقد قرأت بينهم يوماً قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾
(البقرة: ١٩٠)، فقال لي: لا يحل لك أن تستدل بهذه
الآية، فهي منسوخة بآية السيف..

ثم قرأت قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ
وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ
أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (النحل:
١٢٥) فأخبرني بأنها منسوخة بآية السيف.

ثم قرأت قوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ
يُقَاتِلُوا فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ

وَتَقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿الممتحنة: ٨﴾،
فأخبرني بأنها منسوخة بآية السيف.

وقرأت قوله تعالى: ﴿فَاصْفَحَ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾
(الحجر: ٨٥)، فأخبرني بأنها منسوخة بآية السيف.

وقرأت قوله تعالى: ﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا
إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ * وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا
أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾
(الأنعام: ١٠٦، ١٠٧)، فأخبرني بأنها منسوخة بآية
السيف.

وقرأت قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ
وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (الأعراف: ١٩٩)، فأخبرني
بأنها منسوخة بآية السيف.

وقرأت قوله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ
الْمُشْرِكِينَ﴾ (الحجر: ٩٤)، فأخبرني بأنها منسوخة بآية
السيف.

وقرأت قوله تعالى: ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ
يَعْلَمُونَ﴾ (الزخرف: ٨٩)، فأخبرني بأنها منسوخة بآية

السيف.

وهكذا قرأت مائتي آية من القرآن الكريم، كلها يقولون

لي: إنها منسوخة بآية السيف.

حينها أدركت أنني لا يمكنني بحال من الأحوال أن

أستغني عن سلف هذه الأمة.. فهم أدرى الناس بناسخ

القرآن ومنسوخه.. ولولاهم لعبدنا الله بما نسخ من

أحكامه.

الغُمَّاري.. والعارفون

بعد أن انتهى ربيع من حديثه الطويل، نظر السائق إلى الساعة في يده، ثم قال: لم يبق لنا إلا وقت قليل للانطلاق.. ولم يبق في حقيقتي إلا شريط واحد.. فإن شئتم وضعته لكم لتسمعه.. وإن شئتم سرنا في صمت مطبق.

قال ربيع: ويليكَ أتريد أن تضعنا في موقف حرج.. أم تريد أن تقول لنا مقالة ابن زياد: البحر من أمامكم والعدو من ورائكم.. لا يمكننا أن نسمع شيئاً يأباه ديننا وربنا.. فما الذي تريد أن تسمعنا إياه؟.

قال السائق: هذا الشريط لشيخ من أهل التقوى والصلاح.. وهو مثال العارف الصادق المخلص الزاهد.. فهو بين كتبه ومصحفه ومسبحته.. لا تشغله الدنيا ولهوها.. ولا يحجبه عن ربه اقتراب الناس منه أو ابتعادهم، فهو منشغل بربه عن كل شيء.

قال ربيع: لا يهمنا إن كان من أهل التقوى أو لم يكن منهم.. ولا يهمنا إن كان زاهداً أو مخلصاً.. لا يهمنا إلا

أن يكون سنياً.. فلأن نسمع لسكير عرييد خير من أن نسمع لمبتدع.

قال السائق: لا تخف يا بني.. فهذا الرجل حشي تقوى وإخلاصاً وعلماً وهو مرتبط بالشرعية ارتباطاً شديداً.. وشغفه كله بكلام ربه.. فهو يقرؤه ويتدبره ويعيشه.

قال ربيع: فهو من القرآنيين المبتدعين إذن؟

قال السائق: هو يجمع بين القرآن والحديث والورثة..

قال ربيع: أي ورثة؟

قال السائق: ورثة القرآن الكريم وورثة النبوة.

قال ربيع: لم يرث القرآن ولا النبوة إلا أهل الحديث.

قال السائق: أهل الحديث أهل رواية.. والورثة أهل

دراية.

قال ربيع: ويليك يا دعي.. كيف تتجرأ على لحوم أهل

الحديث المسمومة.. إن لم يكن أهل الحديث هم أهل

الدراية، فمن هم أهل الدراية؟

ألم يصلك ما وصف به الخطيب البغدادي أهل

الحديث، لقد ذكر أنهم (حفظة الدين وخزنته، وأوعية العلم

وحملته... ومنهم كل عالم وفقهه، وإمام رفيع نبيه، وزاهد

في قبيلة، ومخصوص بفضيلة، وقارئ متقن، وخطيب محسن، وهم الجمهور العظيم، وسبيلهم السبيل المستقيم، وكل مبتدع باعقادهم يتظاهر، وعلى الإفصاح بغير مذاهبهم لا يتجاسر)

قال السائق: أهل الحديث على عيني وعلى رأسي.. ولكني أرى أن كل الأمة أهل حديث.. فمن بلغه حديث لرسول الله ﷺ وفهمه وحاول أن يعيش معناه، فإن ذلك كاف لجعله من أهل الحديث..

قال ربيع: لا.. ذلك ليس بكاف.. لا بد أن يعرف الأسانيد.. وإلا وقع في الضلالة.

قال السائق: فإن كان الأمر كذلك، وأنت تعلم أننا أقل من أن نشغل بهذه الصناعة، فيكفينا إذن القرآن الكريم الذي نقل إلينا متواتراً.

قال ربيع: كيف أفهمك أيها المجادل العنيد.. أنا لم أكلفك أن تدرس الأسانيد.. ولكني كلفتك أن ترجع فيها لأهلها من المحدثين.. فهم أدرى الناس بحديث رسول الله ﷺ.. لا من تزعم له ذلك من مشايخك.

قال السائق: أنا مسلم لك في هذا.. وإن احتجت إلى

التعرف على صحة حديث أو ضعفه فسألجأ للمحدثين
الذي تصفهم.. لكني الآن أريد أن أسمع لهذا الشيخ الذي
ذكرته لك.. إنه يعلمنا فيه كيف نسمع القرآن من ربنا.
قال ربيع: ويلك وويله.. أيدعي شيخك استمرار
النبوة.. أهو قادياني مبتدع ضال مضل..
قال السائق: لا تقل ذلك.. فأنا لم أقصد ما فهمته..
لعلي لم أعرف كيف أشرح لك.. ولذلك سأدعك مع هذا
الشريط ليشرح لك فهم أهل الله وورثة النبوة للقرآن،
والحقائق التي تنتزل عليهم من خلال قراءتهم له.
قال ربيع: لقد عودنا سلفنا على الإسناد.. ونحن لن
نقبل أن نسمع العلم إلا من أهله.. فمن هذا النكرة الذي
تريد أن تفرض علينا أن نسمعه؟.
قال السائق: إنه الشيخ العارف أحمد بن الصديق
الغماري^(١)..

(١) عرفه ابن الحاج السلمي بقوله: (فقيه، علامة، صاحب مشاركة في كثير من العلوم الإسلامية، وضروب الثقافة العربية الرصينة الأصيلة، إلا أن له تخصصاً وتبريزاً وتفوقاً في حلبة علوم الحديث على طريقة الحفاظ الأقدمين، متناً وسنناً، ومعرفة تراجم الرواة، وطرق الجرح والتعديل، وقد

ما نطق السائق بهذا حتى ثارت ثائرة ربيع، وقال: ويلك أتريد أن تسمعنا صوت ذلك الدعي الأفاك الذي طعن في شيخ الإسلام ابن تيمية، فقال عنه: (.. فإن كل مبتدع وضال بعد المقلدة إنما ضل حتى كفر بقراءة كتب ابن تيمية)^(١).

وقال عنه: (أما مثل ابن تيمية فهو عدو الله ورسوله، مجرم خبيث ضال مضل، لم يقتصر عدو الله على بغض الصوفية، بل أبغض إلى قلبه الفاجر منهم آل رسول الله ﷺ، وأولهم وأشدهم ثقلاً على قلبه علي بن أبي طالب عليه السلام، فنبت نفاقه بنص الحديث الصحيح.. فمن سماه بعد شيخ الإسلام فهو منافق ضال مثله قبحه الله)^(٢).

وقال عن ابن عبد الوهاب: (.. ويكفي أن قرن الشيطان النجدي وأذنايه من أولاد أفكار ابن تيمية، ولا

كون فيها نفسه بنفسه، دون أن يتعلم لأحد) (إسعاف الإخوان الراغبين، ص: ٣٨).

(١) جؤنة العطار: ٥/١.

(٢) البحر العميق: ٥١/١.

يخفى شرهم وعظيم ضررهم على الإسلام وأهله^(١).
قال السائق: تلك آراء رآها، قد يكون مخطئاً فيها، وقد يكون مصيباً.. وابن تيمية وابن عبد الوهاب أيضاً لهما آراؤهما في رجال كثيرين.. وأنا إنسان بسيط لا يهمني هذا ولا هذا، فالله تعالى هو الذي يحكم بين عباده فيما يختلفون فيه.. ما يهمني الآن هو ما وجدته في كتبه من العلم والعرفان والحكمة.. فقد فتح الله عليه أسرار المعارف، وكشف له أغوارها.. فهو يبسط المعقد منها، ويحل المشكل، وكأن مفاتيح الغيب قد فتحت له، فهو يفسر عن رؤية لا عن تقليد، ويحكي عن عيان لا عن خبر.. وليس الخبر كالعيان.

قال ربيع: ويملك.. أرى أن ضلالاته قد انطلت عليك..
أنسيت أنه يقول بوحدة الوجود؟

قال السائق: لقد يسر الله، فقرأت ما كتبه حولها، فرأيت من الحقائق حولها ما ذكره القرآن.. وليس فيها ما يدعيه أصحابك.. لأنهم ينكرون ما لا يعرفون..

(١) جؤنة العطار: ٥/١.

ويخوضون فيما لا يعلمون.

قال ربيع: وحدة الوجود واحدة.. وكل من قال بها ملحد وضال وكافر وزنديق.. ألا تعلم ما قال فيها شيخ الإسلام ابن تيمية؟

قال السائق: لقد كنت في يوم من الأيام أقول بأقوالهم، لكنني عندما قرأت كتب الشيخ فتح الله عليّ فهمها ما أزال عني تلك الكدورات التي وضعها ابن تيمية في عقلي وقلبي.

قال ربيع: اتق الله.. ويلك.. لقد تجاوزت حدودك.. ألا تعلم أن لحم شيخ الإسلام ابن تيمية من اللحوم المسمومة.. ثم إياك أن تتطق باسمه من دون أن تذكر (شيخ الإسلام)، فنحن نفرق بين السني والمبتدع بذلك. راح السائق يواصل حديثه بنشوة، وكأنه لم يسمع تعليقات ربيع: لقد قرأت فيما قرأت مما كتبه عنها قوله: (إذا تخلى العبد وتخلّى.. ولازم عبادة ربه.. واتخذ الذكر شعاره وهجيراه.. فإن الله بفضلته وكرمه يوصله إلى مقام يفنى فيه عن وجوده بوجود ربه.. ولا يصبح لوجوده الوهمي بقية)

قال ربيع: أتقصد أنه يصبح إلهًا.. أو يتحد في الإله..
أو يحل فيه.. ذاك هو الكفر بعينه.

قال السائق: بل أقصد قوله ﷺ: (إن الله قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه)^(١).

قال ربيع: أرى أن شيخك قد أضلك.. فالحديث لا يفيد ما فهمته منه إن رسول الله ﷺ يقصد أنه: (إذا أدى المسلم ما فرض عليه ثم اجتهد في التقرب إلى الله تعالى بنوافل الطاعات، واستمر على ذلك وسعه - بشرط أن يكون من أهل الحديث والسنة - أحبه الله تعالى - فانه تعالى لا يحب إلا سنياً - وإذا أحبه كان عوناً له في كل ما يأتي ويذر.. حيث يصبح سمعه مسدداً من الله.. فلا

(١) رواه البخاري.

يستمتع إلا الخير ولا يقبل إلا الحق وينزاح عنه الباطل الذي وقع فيه المبتدعة.. وإذا أبصر بعينه أو قلبه أبصر بنور من الله.. فكان في ذلك على هدى من الله وبصيرة يفرق بها بين السني والجهمي.. والمثبت والمعتل.. وإذا بطش بصاحب بدعة أو ضربه أو قتله أو ذبحه.. كان ذلك بقوة من الله.. وهكذا.

قال السائق: أي أن الله يصبح عبداً لأولياكم.. يبطش بمن يريد أن يبطشوا به.. ويقتل من يريدون قتله.. ويدخل النار من لا يرضون عنه.
قال ربيع: أرى أنك تجاوزت حدك.. ولا ينفع معك إلا المباهلة..

قال السائق: لم يا بني تستعجل اللعنة عليّ أو عليك؟.. نحن نتحاور.. لقد ذكرت لي ما فهمته من الحديث.. وذكرت لك ما شرحه لنا شيخنا.. وأي حرج في ذلك.. فلك فهمك ولي فهمي.. والله يوم القيامة يحكم بيننا. وأظن أنك لم تفهم فقط ما أراده الشيخ.. وقد كنت مثلك في يوم من الأيام إلى أن عرفت أن هذه المعاني الرفيعة لا يمكن إدراكها بالعبارة أو الألفاظ.. بل هذا مقام

لا يدرك إلا بالذوق.. والعبارة لا تزيده إلا تعقيداً كما قال ابن عربي في مقدمة الفتوحات: (كل علم إذا بسطته العبارة حسن وفهم معناه أو قارب وعذب عند السامع الفهم فهو علم العقل النظري؛ لأنه تحت إدراكه ومما يستقل به لو نظر إلا علم الأسرار، فإنه أخذته العبارة سمح واعتاص على الأفهام دركه وخشن وربما مجته العقول الضعيفة المتعصبة التي لم تتوفر لتصريف حقيقتها التي جعل الله فيها من النظر والبحث ولهذا صاحب هذا العلم كثيراً ما يوصله إلى الأفهام بضرب الأمثلة والمخاطبات الشعرية)^(١).

وقبله قال الغزالي عن الصوفية بعد أن طالع كتبهم: (فظهر لي أن أخص خواصهم، ما لا يمكن الوصول إليه بالتعلم بل بالذوق والحال وتبدل الصفات. وكم من الفرق أن تعلم حد الصحة وحد الشبع وأسبابهما وشروطهما، وبين أن تكون صحيحاً وشبعان؟ وبين أن تعرف حد السكر، وأنه عبارة عن حالة تحصل من استيلاء أبخرة

(١) الفتوحات المكية - طبعة الميمنية الأولى (١/ ٣٣).

تتصاعد من المعدة على معادن الفكر، وبين أن تكون سكران! بل السكران لا يعرف حد السكر، وعلمه وهو سكران وما معه من علمه شيء. الطبيب في حالة المرض يعرف حد الصحة وأسبابها وأدويتها، وهو فاقد الصحة. فكذلك فرق بين أن تعرف حقيقة الزهد وشروطه وأسبابه، وبين أن تكون حالك الزهد، وعزوف النفس عن الدنيا!. فعلمت يقيناً أنهم أرباب الأحوال، لا أصحاب الأقوال. وأن ما يمكن تحصيله بطريق العلم فقد حصلته، ولم يبق إلا ما لا سبيل إليه بالسماع والتعلم، بل بالذوق والسلوك^(١).

قال ربيع: أتريد أن أمارس الرياضة حتى أقع في الحلول والاتحاد.. إن هؤلاء هم أولياء الشيطان لا أولياء الرحمن كما قال ذلك شيخ الإسلام.

قال السائق: وهل رأيت الصوفية يقولون بالحلول والاتحاد.. إن أبعد الناس عنهما الصوفية.. فالاتحاد معناه اتحاد شيء بشيء آخر.. أي أن هناك شيئين اتحدا..

(١) المنقذ من الضلال (ص: ١٧٢).

وكذلك الحلول معناه حلول شيء في آخر وتخلله به..
والواصلون إلى مقام الوحدة لا يرون وجودهم مطلقاً، ولا
يثبتون حقيقتهم المفروضة أبداً حتى يلزمهم القول بالاتحاد
أو الحلول.. بل لا يكون عندهم الوجود إلا واحداً لا تعدد
فيه، ولا ثاني له.

قال ربيع: ولكنك نسيت قول الملحد الضال المضل
ابن الفارض:

وهامت بها روحي بحيث تمازجا

اتحاداً ولا جُرمٌ تخلله جُرمٌ

قال السائق: إنه يعبر عن مشاعره الوجدانية بلغة

الشعراء.. ثم ألا تراه ينفي اتحاد جرم بجرم.. إن معنى

كلامه أنه لما هام عشقاً، وعمل على ترك الشواغل

الصارفة عن الوصول وجد نفسه أنه كان في الحضرة

وهو لا يشعر؛ لأن الحق سبحانه أقرب إلينا من جبل

الوريد ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ (الحديد: ٤)، ﴿وَنَحْنُ

أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ (الواقعة: ٨٥).

قال ربيع: أرى أن شيخك هذا قد طمس بصيرتك..

ولا أمل فيك.. ولا أرى إلا أنك وشيخك.. وكل المشايخ

الذين تتعلق بهم ستصلون نار جهنم وبئس المهاد..
وسيشفى الله غليلنا منكم هناك حين نراكم تعذبون..

الخاتمة

إلى هنا انتهى حديث الحافلة الأولى.. لبدأ حديث الحافلة الثانية.. ولنرى الشخصيات التي تعجب ربيعاً وأصحاب ربيع..

لا تستعجل أيها القارئ المحترم.. فقد يكون لدى الشخصيات التي يحبها ربيع حلولاً لمشكلاتنا، وإعادة لنا إلى الدين الأصيل بمعارفه وحقائقه وسلوكاته.

وإلى اللقاء في الجزء الثاني.. حيث سنجد أحداثاً أكثر، ومرتعة أعظم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فهرس الكتاب

الصفحة	الموضوع
٣	الإهداء
٤	تقديم
٩	المقدمة .. اللحوم المسمومة
١٦	البوطي .. والحكم العطائية
٢٣	المالكي .. والصوفية
٣٣	مصطفى محمود .. والباطنية
٤٤	الشعراوي .. والأزهريون
٥٢	السقاف .. والمتكلمون
٧٠	ابن فرحان .. والقرآنيون
٨٧	فضل الله .. والحواريون
٩٣	حسُون .. والإنسانيون
١٠٠	جودت .. واللاعنف
١١٤	العُمَارِي .. والعارفون
١٢٧	الخاتمة
١٢٨	فهرس الكتاب